الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم العلوم الإنسانية**

خروج بني زيري عن السلطة الفاطمية وأثره على بلاد المغرب (361-543هـ)(972-1148م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطالبين :
* بلقاسم خليل
* سعد بلغمري

إشراف الأستاذ :
* حميد زيدور

لجنة المناقشة :

1- البشير غانية	رئيسا
2- حميد زيدور	مشرفا ومقررا
3- علال بن عمر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2013/2012م – 1435/1434هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿ وَمَـا تَـوْفِيـقِـي إلاَّ بـِالله عَلَـيْهِ تَوَكَّـلـتُ وَإِلَيْـهِ أُنِـيـبُ ﴾

سورة هود الآية 88

إهداء

إلى والدي الكريمين اعترافا و امتنانا وحبا .

إلى أخي محمد العيد و أخواتي .

إلى عقيلتي الكريمة أم أولادي .

إلى ساجدة وشعيب و عبد الرحمان و جيلهم المنشود .

إلى كل من شجعني على مواصلة الدراسة الجامعية

خاصة الأستاذين السعيد باشى وطه حسين بن عشورة .

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع .

بلقاسم

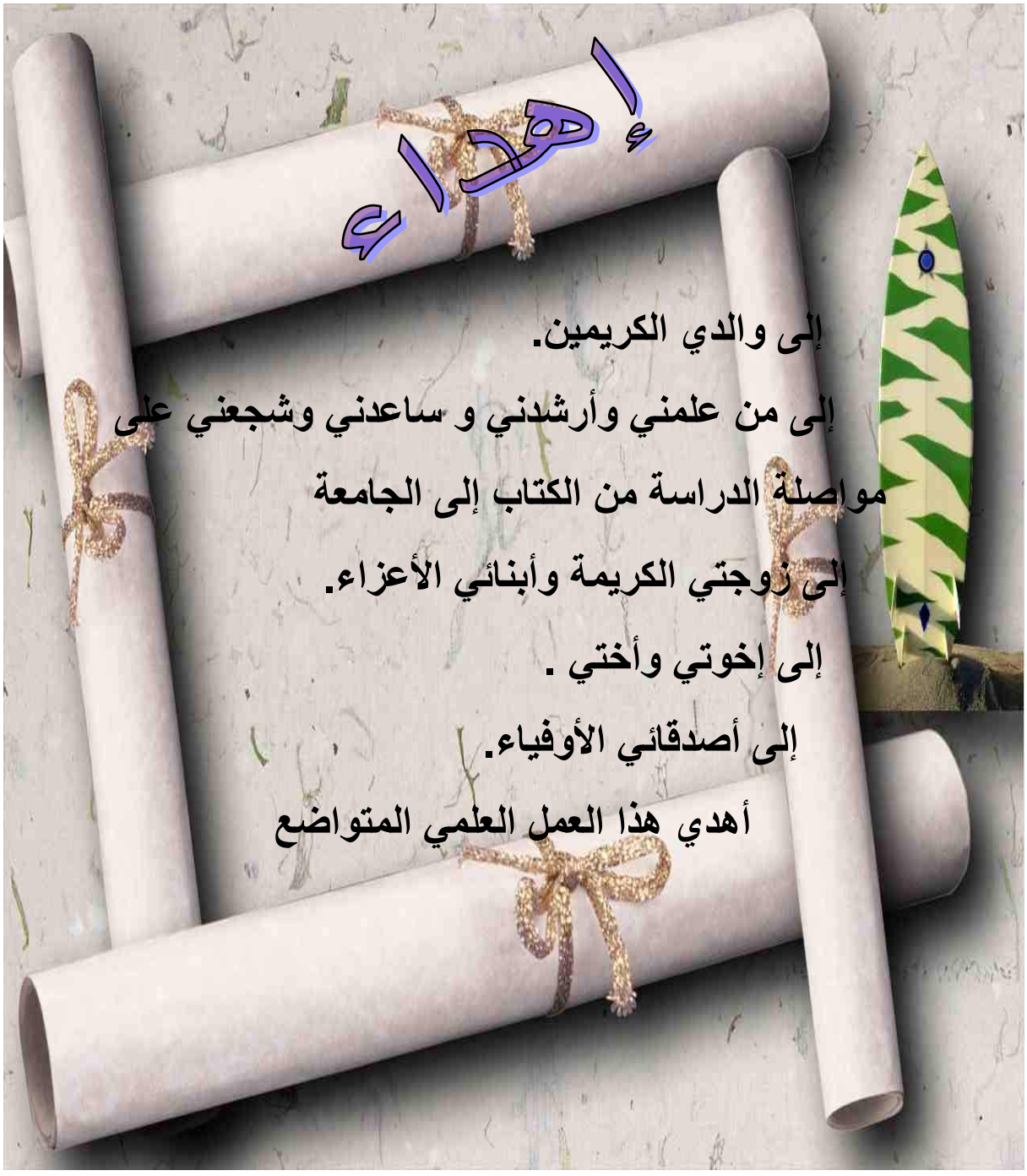

إهداء

إلى والدي الكريمين.

إلى من علمني وأرشدني و ساعدني وشجعني على

مواصلة الدراسة من الكتاب إلى الجامعة

إلى زوجتي الكريمة وأبنائي الأعزاء.

إلى إخوتي وأختي .

إلى أصدقائي الأوفياء.

أهدي هذا العمل العلمي المتواضع

شكر وعرفان

قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

سورة إبراهيم – الآية 07

فالحمد لله بنعمته تتم الصالحات و الحمد لله الذي وفقنا للوصول إلى هذه المرحلة وإنجاز هذه المذكرة حمد كثير طيباً مباركاً فيه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس ». رواه البخاري وأحمد

– نتوجه بخالص الشكر وأسمى التقدير لأستاذنا المحترم : حميد زيدور على حسن توجيهه وتشجيعه لنا وصبره معنا .

إلى أساتذتنا الأكارم في قسم التاريخ بجامعة الوادي.

–إلى كل الزملاء والزميلات بالقسم .

–إلى كل من شجعنا وحثنا على مواصلة الدراسة رغم العقبات .

–إلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل .

بلقاسم و سعد

قائمة المختصرات

هـ : هجري

م : ميلادي

تح : تحقيق

تر : ترجمة

مر : مراجعة

تق : تقديم

تع : تعليق

ت : توفي

ص: صفحة

صص : صفحات

ج : جزء

مج : مجلد

ط : طبعة

د ط : دون طبعة

د د ط : دون دار طبعة

د س ن : دون سنة نشر

مقدمة

لم يكن المغرب معزولا يوما عن المشرق ، وتراوحت العلاقات بينهما من خلال التأثير والتأثر ، والتبعية والانفصال ، حيث كانت كل الأحداث التي تقع في المشرق تلقي بظلالها على المغرب ، بداية من الفتوحات الإسلامية التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية إلى مصر ثم إلى أرض المغرب ، وانتهاء بالفرق والأحزاب الإسلامية التي ظهرت بعد الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما) والذي تحول الخلاف بين أتباعهما فيما بعد إلى صراع مذهبي إنتقل إلى المغرب ، لان هذه البلاد كانت تمثل لهم ملاذا آمنا لنشر مذاهبهم وتأسيس دولهم ، فكما تمكن الخوارج من تأسيس الدولة الرستمية والمدرارية، استطاع الشيعة فيما بعد إقامة الدولة الفاطمية ، والتي لم يستقر لها قرار ببلاد المغرب ، حيث خرج عنها المغاربة الزيريون بخلع طاعتهم ، مما أنتج مظاهر اجتماعية وسياسية واقتصادية شملت لاحقا بلاد المغرب .

وهذا ما جعلنا نختار موضوع مذكرتنا والمعنونة ب : خروج بني زيري عن السلطة الفاطمية وأثره على بلاد المغرب (361-543هـ/972. 1148م)

ولمعالجة هدا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية :

ما هي ظروف ودوافع خروج بني زيري عن طاعة الفاطميين ؟،وما مدى تأثير هذا الخروج على بلاد المغرب الاسلا مي ؟

واندرجت تحتها الإشكاليات الفرعية الآتية :

ـ ما هي عوامل نجاح قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ؟

ـ كيف تم انتقال السلطة من الفاطميين إلى الزيريين ، وكيف تم الانفصال بينهما ؟

ـ ما أبرز انعكاسات هذا الانفصال على بلاد المغرب الإسلامي ؟

ومن دواعي اختيارنا لهدا الموضوع رغبة الاطلاع علي تاريخنا الإسلامي وبخاصة تاريخ المغرب في العصر الوسيط وربط ماضيه بحاضره ومستقبله، ورغبتنا في انجاز عمل

علمي عساه يكون مفتاحا لما بعده ومساهمة منا في إثراء مكتبتنا الجامعية بعمل مهما كان بسيط فلعله يفيد .

أما عن الإطار الزماني للدراسة فقد بدأ سنة 361 هـ / 972 م وهي سنة قيام الدولة الزيرية ببلاد المغرب ، وتوقفنا عند سنة 543 هـ / 1048 م باعتبارها السنة التي سقطت فيها المهدية عاصمة الزيريين .

وقد سبقنا تاريخ التأسيس بالحديث عن الفاطميين لان موضوع الدراسة يفرض علينا ذلك وهو في نفس الوقت تمهيد للحديث عن الدولة الزيرية ، وكانت سنة سقوط المهدية بداية للحديث عما خلفه الزحف الهلالي على بلاد المغرب ، وتناولنا في الموضوع دراسة الجانب الاجتماعي والاقتصادي وكان اهتمامنا أكثر بالجانب السياسي .

أما عن المناهج المتبعة، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي لأنه يتناسب مع مثل هذه المواضيع وهو ضروري لوصف الوقائع وتتبع الأحداث التي تناولناها ، إضافة إلى المنهج التحليلي الذي من خلاله قمنا بتحليل بعض النصوص الواردة في المصادر أو بعض الأحداث التاريخية ، مما أدى بنا إلى الاعتماد أحيانا على تبني لغة سردية تناسب موضوع بحثنا وفترته التاريخية باستعمال مصطلحات لغوية وتعبيرية وسيطية .

ولإتمام انجاز الموضوع ارتاينا تقسيمه على النحو التالي مقدمة ، تمهيد ، ثلاثة فصول وخاتمة .

بالنسبة للمقدمة تناولنا فيها توطئة للموضوع ، وطرح الاشكال، ثم دواعي اختيار الموضوع ثم خطة الدراسة والصعوبات التي واجهتنا في إتمامه ، ، فنقد بعض المصادر والمراجع التي عدنا إليها .

أما التمهيد فهو عبارة عن لمحة جغرافية وتاريخية عن بلاد المغرب الإسلامي .

الفصل الأول وعنوانه : عوامل نجاح قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب حيث تناولنا فيه العصبية القبلية ودورها في تأسيس الدولة ، الدول المستقلة وأثرها في نجاح قيام الدولة ثم الأوضاع الفكرية والمذهبية المختلفة في بلاد المغرب .

اما الفصل الثاني والمعنون، بانتقال السلطة من الفاطمين الى الزيرين، فقد تطرقنا فيه الى تأسيس الدولة الزيرية واستقلالها عن الفاطمين ثم مراحل خروج بني زيري عنهم .

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان انعكاسات خروج الزيريين عن طاعة الفاطميين، حيث تناولنا فيه الحديث عن الانعكاسات السياسية والاجتماعية والمذهبية الفكرية و الاقتصادية

أخيرا خاتمة تضمنت النتائج التي توصلنا إليها في هده الدراسة .

وعن الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز هذه المذكرة، نذكر تعذر سفرنا للحصول على مصادر ومراجع أخرى تخدم موضوعنا لمجموعة من الارتباطات التي حالت دون ذلك.

أما عن أهم المصادر والمراجع التي عدنا إليها في إنجاز هذا الموضوع .

أولا: المصادر -كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر الجزء(6) لعبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) حيث استفدنا منه في جميع مراحل البحث خاصة لمعرفة أنساب البربر ومواطنهم ، إلا أنه كان متحاملا كثيرا على الأعراب من بني هلال.

ومن المصادر المهمة في تاريخ المغرب كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت706هـ/1306م) حيث أفادنا في تتبع نشأة الدولة الزيرية وخروجها عن الفاطميين إلى غاية سقوطها .

كتاب افتتاح الدعوة للقاضي أبو حنيفة النعمان التميمي (ت363هـ/973م) والذي استقينا منه معلومات في نشأة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، إلا أنه بالغ في وصف ومدح المعز الفاطمي مما أخرجه عن الموضوعية .

كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس بن خلكان(ت 681هـ/1290م) والذي من خلاله تعرفنا على كثير من الأعلام الواردة أسمائهم في دراستنا، ورغم أهميته إلا أن صعوبة البحث فيه تكمن في ترتيبه للأعلام حسب أسمائهم لا على حسب ألقابهم وكنا هم المشهورين بها .

كتاب صورة الأرض لابن حو قل (ت 378 ه / 988 م) فقد أفادنا بمعلومات عن كثير من مدن المغرب الإسلامي بداية من برقة إلى طنجة إلا انه فصل في ذكر بعض الأماكن وأوجز في اخرى ، وقد اخترناه لمعاصرته للفاطميين .

ثانيا المراجع :

كتاب الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري للهادي روجي إدريس، والذي أمدنا بمعلومات قيمة في تتبع مسار الدولة الزيرية من النشأة الى السقوط، وقد كان قاسيا في حكمه على بني هلال و تخريبهم كعرب لحضارة افريقية ، ولعل ذلك يعود إلى توجهه الغربي وتأثره بالمستشرقين .

كتاب ابو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، لعلي حسن الخربوطلي ، حيث تعرفنا من خلاله على الظروف التي سبقت نشأة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب إلا أنه تحيز لأبي عبد الله الشيعي رغم إدعائه الحياد في مقدمة كتابه.

كتاب السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، لمحمد الصالح مرمول حيث أفادنا في دراسة العلاقات بين الفاطميين والمغاربة ، لكنه لم يفصل في نوعية العلاقة بينهم وبين الصنهاجيين.

كتاب التواجد الهلالي السليمي في الجزائر، لعبد الحميد الخالدي حيث زودنا بمعلومات هامة عن سيرة بني هلال وتواجدهم في بلاد المغرب ومساهمتهم في التعريب وما يؤاخذ عليه أنه انحاز انحيازا صارخا لبني هلال ، حتى يخيل للقارئ أن المغرب الإسلامي اصطبغ كاملا بصبغة هلالية .

وأخيرا نسأل الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ، والذي اجتهدنا في إتمامه وإعداده حسب ما توفر لنا من مادة علمية ووقت ، مع اعترافنا بتقصيرنا.

والله الموفق لما فيه الخير

التمهيد

رأينا من الضروري قبل الخوض في موضوع الدراسة تقديم لمحة موجزة ووصفا سريعا لبلاد المغرب،التي كانت مكانا و مسرحا للأحداث التي عنيناها بالبحث .

الإطار الجغرافي لبلاد المغرب:

عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة فالإغريق مثلا يسمون القسم الشمالي من إفريقيا والذي يسكنه العنصر الأبيض باسم ليبو أو ليبيا[1]ويطلقون على الصحراء اسم بلاد الأحباش السود[2].

والواقع أن كلمة إفريقية أقدم استعمالا من مصطلح المغرب،وسميت باسم إفريقية نسبة على افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة [3]، حيث زعموا أنه لما غزا المنطقة سميت باسمه[4], وقيل أنها (أفريكا) من اللفظ اللاتيني

ويعتقد بعض المؤلفين الأفارقة من الأهالي،أن اسم إفريقيا محرف ومشتق من كلمة (فرق) التي تعني باللغة العربية المقسوم أو المفصول لأنها جزء من التراب يفصله البحر عن .وقيل أن كلمة إفريقية أطلقه الرومان ويشمل قرطاجنة وما حولها حتى [5]أوروبا وعن آسيا .[6]نوميديا غربا، وكان يعرف في عهد الرومان باسم إفريقيا القنصلية

أطلقه الفاتحون [7]أما مصطلح المغرب فلم يعرف إلا خلال منتصف القرن الأول الهجري ، والمقصود [8]المسلمون لأنه يعتبر الجهة الغربية من المراكز التي خرجت منها الجيوش بالمغرب الأراضي الإسلامية غربي مصر إلى المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى بلاد الأندلس وجميع ممتلكات البلاد الإسلامية في البحر المتوسط [9] .

1- تعود هذه التسمية إلى الرحالة والمؤرخ الإغريقي هيرودوت ، وهي النطاق الجغرافي الممتد من غرب مصر حتى البحر الكبير,وسمى سكان هذه المنطقة (الليبيون)، ينظر: موسى لقبال ، المغرب الإسلامي منذ بدأ معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص 13 .

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، د ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة د س ن، ص 11.

3- عبد الرحمان بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،المعروف بتاريخ ابن حلدون، دط، تح : خليل شحاذة ، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ج 6 ، ص 117.

- روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي ، ط 1 ، تر: حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، 1988 ، ج1 ، ص 29 4

- مارمول كربخال، إفريقيا ، تر: محمد حجي وآخرون ، د ط ، مكتبة المعارف،1404هـ/1984،الرباط ،المغرب، ج1,صص 5 15،14 .

- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 5.14

- موسى لقبال، المرجع السابق ،ص 7.14

- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية (قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري)، د ط، دار الثقافة القاهرة، 1411 هـ/1991 م ، ص 11. 8

- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق ، صص12, 9.13

ويرى ابن عذارى أن حد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية إلى آخر بلاد المغرب ، وحده مدينة سلا[1] ويقسمه إلى أربعة أقسام:

قسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمرانا .

قسم من طرابلس وحده مدينة تاهرت[2].

قسم من تاهرت إلى مدينة سلا وهي آخر المغرب.

ويضم ابن عذارى بلاد الأندلس إلى المغرب لدخولها فيه واتصالها به[3].

في حين يقسم أبو بكر الزهري المغرب إلى ثلاث أصقاع :

الصقيع الأول: إفريقية وهي من جبال برقة إلى جبال نفوسة وجبال ونشريس.

الصقيع الثاني: المغرب الأقصى على ساحل البحر من جبل ونشريس إلى البحر الأعظم.

الصقيع الثالث: السوس الأقصى[4] وهو متصل ببلاد لمتونة مع الصحراء[5].

ويضم ابن خلدون إقليم مصر إلى ارض المغرب لأن حدود المغرب من جهة الشرق تنتهي إلى السويس[6].

هكذا وإن وقع فيه اختلاف في تقسيمات المغرب بين المؤرخين والجغرافيين إلا أن المصطلح الأكثر تداولا الآن و الأقرب للتوفيق بين المصادر هو أن المغرب المقصود به كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والبلاد الليبية والمغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى[7].

1- سلا مدينة قديمة بناها الرومان على شاطئ المحيط ، انضوت تحت سلطة فاس بعد تأسيسها ، ينظر: الحسن بن محمد الوزان الإفريقي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983، ج 1, ص207.

حمامات 2- تاهرت: مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة على بعد خمسة أميال من القديمة. والحديثة بها بساتين و والتجارة بها أكثر من القديمة ينظر: ابو القاسم النصيبي بن حوقل ، صورة الأرض،دط،دار مكتبة الحياة،بيروت،1992، ص86.

3-أبوعبد الله بن عذارى المراكشي،البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب،تح:كولان،ليفي بروفسنال،ط3،دارالثقافة، بيروت،1983،ج 1 ص 5.

4- السوس الأقصى: مدينة على ساحل بحر الأقيانوس المغربي. وهي آخر مدينة من عمارة العالم في المغرب لا يصل إليها إلا القليل من الغرباء ويكثر بها البربر، ينظر: مؤلف مجهول، حدود العالم من الشرق إلى الغرب ، تح: يوسف الهادي، ط 1 ،الدار الثقافية للنشر، القاهرة،1419 هـ/1999م, ص134.

5- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، تح:محمد حجي صادق، د ط ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س ن، ص 117.

6- ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،مصدرسابق، ص 133 .

7- علي محمد الصلابي صفحات مشرقة من التاريخ الأسلامي في الشمال الافريقي،ط1،دارابن الجوزي، القاهرة،1428ه/2007م،ج1، ص98 .

الإطار البشري والتاريخي لبلاد المغرب :

وقد سكن هذه المنطقة منذ عصر مبكر الأمازيغ والأفارقة فضلا عن الوافدين الرومان والبيزنطيين ، أما الأفارقة فهم خليط جنسي من القرطاجيين وبقايا الرومان أما الأمازيغ فهناك من سماهم بربر وهم السكان الأصليون للمنطقة وينتمون إلى جد أعلى

هو مازيغ بن كنعان [1] .

والبربر جذمان عظيمان:

البرانس: وينتمون إلى برنس بن بر بن مازيغ.

البتر: من نسل ما دغيس الأبتر بن بر بن مازيغ.

وأهم شعوب البرانس: ازداجة، مصمودة ، أوربة ، عجيسة،كتامة، صنهاجة، أوريغة.

أما شعوب البتر:أداسة، نافوسة، درية، بنولوا الاكبر.[2]

وغلب على شعوب البرانس الاستقرار في القرى الساحلية والجبلية للزراعة وتربية المواشي، [3]. وغلب على البتر طابع البداوة، فهم يرتحلون لأجل المرعى والماء.

وقد تأثر المغرب إلى حد كبير بحكم موقعه الجغرافي الذي يربطه بأوروبا فضلا عن إفريقية بالصحراء الكبرى، وما يربطه ببلاد المشرق الأمر الذي جعله على اتصال دائم بكل هذه البقاع المختلفة سكانا وحضارة [4] .

ونظرا للإرتباط الوثيق بين المشرق و المغرب وبعد أن أتم الصحابي عمرو بن العاص فتح سنة 22 هـ/ 643 م ثم فتح [5]مصر التفت إلى برقة يدعوها إلى الله ، فوصلها و فتحها وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ض) يخبره [6]طرابلس سنة 23 هـ / 644 م بما أفاء الله عليه من النصر والفتح وأن ليس أمامه إلا بلاد إفريقية [7] .

1- موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص 16

2- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق, صص118,117.

3- موسى لقبال,المرجع السابق ص17.

4محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، دط، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1410 هـ/1990 م ، ص 3 .

5- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية ،تح : أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992 .

6- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، د ط ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ،ص39 .

7- ابن عذارى المراكشي ،المصدر السابق، ص 8 .

وتوالت أفواج الفاتحين على إفريقية إلى أن اكتمل فتحها على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هـ/670م واختط بها مدينة القيروان سنة 51 هـ/671م لتكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر[1].

وتواصلت الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب بعد عقبة بن نافع حتى أتم الله فتح هذه البلاد لتنضم إلى ديار الإسلام، وتداول على بلاد المغرب الإسلامي الولاة من بني أمية وبني العباس حتى آلت المنطقة إلى حكم الدول المستقلة(الأغالبة بالمغرب الأدنى، الرستميين بالمغرب الأوسط، الأدارسة بالمغرب الأقصى شمالا، وبنو مدرار جنوبا)، قبل أن تقوم مقام هذه الدول الدولة الفاطمية .

1-ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ص 19 .

الفصل الأول: عوامل نجاح الدعوة الفاطمية ببلاد المغرب

1. العصبية القبلية ودورها في تأسيس الدولة.
2. الأوضاع الفكرية والمذهبية المختلفة ببلاد المغرب.
3. الدول المستقلة في المغرب وأثرها في نجاح الدولة.

1- العصبية القبلية ودورها في تأسيس الدولة

أ- مفهوم العصبية القبلية :

أ-1- العصبية لغة :

مشتقة من العصب وهو الطي الشديد، وعصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه .[1]

وردت الكلمة في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى : «قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة»[2]، جاء في التفسير أي ونحن مجموعة قوية تدفع وتنفع، وكيف يؤثر غلامًا وصبيًا صغيرين على مجموعة الرجال النافعين الدافعين.[3]

أيضا في قوله تعالى : «إن الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم»[4] وجاء في التفسير كذلك عصبة منكم أي جماعة منكم .[5]

والتعصب يعني المحاماة والمدافعة، والعصبة الأقارب من جهة الأب.[6]

والعصابة الجماعة من الناس ففي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » رواه مسلم[7].

والعصبة بالضم من الرجال وغيرهم ما بين العشرة والأربعين .[8]

أ-2- العصبية اصطلاحا :عند ابن خلدون : «النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة»[9].

أ-3- القبيلة :

والقبيلة من الناس أبناء أب واحد، ومن معاني القبيلة الجماعة فلكل جماعة أب واحد[10]، بحيث يجب أن تتوفر في هذه الجماعة الصفات التالية:

سلف مشترك، أرض مشتركة، لغة مشتركة، ونوع من الاستقلال المعتمد على قوة القبيلة.[11]

1- ابن منظور، لسان العرب، ط$_3$ ، دار صادر، دار الشروق، القاهرة 1414 هـ 1994 م، مج$_1$ ، ص605 .

2- سورة يوسف، الآية 14 .

3- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط$_{25}$، دار الشروق، القاهرة 1417 هـ 1996 م، مج$_4$، ص1973.

4- سورة النور، الآية 11.

5- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط$_5$، قصر الكتاب، البليدة، 1411 هـ 1990 م، ج$_2$، ص328.

6- خالد عبد الرحمان الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، ط$_1$، (د د ط)، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.س.ن)، ص25.

7- أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رقم الحديث (1723) .

8- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط$_6$، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419 هـ 1998 م، ص115.

9- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح:خليل شحاذة، مر:سهيل زكار، دار الفكر، بيروت1431هـ2001م، ص160.

10- خالد عبد الرحمان الجريسي، المرجع السابق، ص27.

11- آمال آل كاشف غطاء الرأس، دور العصبية القبلية وأثرها في المجتمع العربي،(د ط)، (د.س.ن)، صص8،9.

أ-4- العصبية القبلية :

تقوم على أساس وحدة الدم والنسب لإن صلة الرحم طبيعة في البشر إلا في الأقل[1]، فالعرب قبل الإسلام شكلوا أول العصبيات القبلية فقد كان اعتزازهم بقبائلهم أشد من اعتزازهم بعروبتهم[2]، وكان للبربر في المغرب من العصبية القبلية التي تشكلت على كواهل رجالها دول مثلما كان للعرب.

والعصبية منها الممدوح كمعرفة الأنساب وصلة الأرحام ومنها المذموم، مثل العصبية التي ألغاها الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[3]

والخلاصة أن العصبية القبلية إنما هي تضامن من قوم تجمعهم رابطة النسب والحلف، مع نصرة بعضهم بعضا ضد من يناوئهم[4] .

ب- كتامة النسب والموطن:

ويذكر بعض المؤرخين أن البربر قبائل قدمت من شبه الجزيرة العربية عبر مصر واستوطنت إفريقيا الشمالية في هجرات متتالية [5]، ويُحتمل أن يكونوا من عرب اليمن الذين هاجروا بعد انهيار سد مأرب[6].

ويحتج المؤيدون للنسب العربي للبربر لأوجه التشابه بين العرب والبربر في حياتهم اليومية، وعدم اندماج البربر في الرومان والوندال والبيزنطيين رغم طول بقائهم في المغرب[7].

و الحديث عن كتامة يقودنا إلى واحدة من أكبر قبائل البربر، في المغرب وأشدهم بأسا وأرسخهم في الملك[8]، واختلف المؤرخون في نسبها، فالبربر ينسبونها إلى كتام بن برنس والعرب ينسبونها إلىحمير.

1- ابن خلدون،المقدمة، مصدر سابق، ص160.

2- أحمد أمين، ضحى الإسلام، د ط، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1997، ج1،ص35.

3-أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه،رقم الحديث (1848).

4- خالد عبد الرحمان الجريسي، المرجع السابق، ص28.

5- عثمان سعدي،الأمازيغ (البربر) عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، د ط، د م ن، 1996م، ص47.

6- أبو القاسم محمد كرو، عصر القيروان، ط2، دار طلاس، دمشق ، 1989، ص11.

7- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص59.

8- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، مصدر سابق ،ص195.

ويرى آخرون أن كتامة مجموعة من القبائل تنسب إلى فرع البرانس وسميت بهذا الاسم نسبة للجد كتام، بن برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام[1]، وقبيلة كتامة تقع أراضيها في مثلث سطيف جيجل قسنطينة[2]، وهي حلف قوي يسكن المناطق الجبلية الوعرة المتاخمة لحدود تونس[3]، ونظرا لاحتضان بيئة كتامة الكتل الجبلية فإنها تستعصي على من يرومها ويطلبها وتفرض سيادتها الكاملة عمن يسكنون حولها، وتغرس فيهم روح العزلة والتمرد[4]. ولتحديد مكانها بدقة فهي تقع شرقي بلاد المغرب الأدنى.[5]

ج- دور كتامة في تأسيس الدولة الفاطمية :

إن بوادر التشيع[6] في المغرب كانت قبل ظهور الدولة الفاطمية، وذلك أن جعفر الصادق بعث برجلين وهما أبا سفيان والحلواني وقال لهما : «اذهبا إلى أرض المغرب فإنما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها واكرباها وذللاها إلى أن يأتي صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبة فيها»[7].

1- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11 م) ،د ط،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979، ص92.

2- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تر: فضيلة الحكيم، ط$_1$، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص54.

3- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص139.

4- موسى لقبال،دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص99.

5- إسماعيل العربي،دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية،د ط،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980م، ص37.

6- الشيعة : الذين شايعوا علي رضي الله عنه وقالوا بإمامته نصا ووصية، وأن الإمامة ركن من أركان الدين ولا تخرج عن أولاده، ينظر: محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني، الملل والنحل، تح : أبي محمد بن فريد، د م، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د س ن، ج$_1$،ص155.

7- القاضي أبوحنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي،افتتاح الدعوة، د ط، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د س ن،ص59

وقد آلت الدعوة الاسماعلية[1] إلى رجل في اليمن اسمه ابن حوشب[2] والذي اختار رجل اسمه أبو عبد الله الشيعي[3] لإرساله إلى المغرب وقال له : «إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبا سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك»[4]، وكانت البداية حين التقى أبو عبد الله الشيعي بأهل كتامة في موسم الحج فحدثهم عن آل بيت رسول الله فنال إعجابهم وسألوه الرحيل معهم[5] .

فنزل عند رغبتهم وأجاب دعوتهم[6]، وحين نزل بالمغرب سنة 280 هـ/893م لقبوه بالمشرقي واستضافوه لقصد التعليم[7].

و لكن المتتبع للأحداث في رحلة أبي عبد الله الشيعي فإنه لم يذهب للمغرب نزولا عند رغبة الكتاميين، وإنما لأجل تنفيذ خطة معدة مسبقا. حيث تتجلى بوضوح تضحية الشيعي ومن ورائه الاسماعليين في سبيل نشر دعوتهم، و من الممكن جدا أن يكون الشيعي قد اتفق معهم مسبقا لتأسيس دولة ،فلا يمكن أن تكون هذه الرحلة و الأتعاب لأجل التعليم فحسب .

فلما سار أبوعبدالله الشيعي ومعه من وجهاء كتامة أبا عبد الله الأندلسي وأبا القاسم الورفجومي نزلوا بجبل ايكجان[8] وانتهوا إلى مكان فيه يسمى فج الأخيار، فقال لهم : «ما سمي هذا الفج إلا بكم، وأن المهدي سينصره قوم مشتقة أسماؤهم من الكتمان فأنتم أهل كتامة»[9]، وما إطراؤه لهم إلا رغبة في زيادة قربهم منه،كما أنه كان يستعمل مفاهيم علم الغيب و كلها أساليب من أجل إتمام مهمته، وكان وصوله لبلد كتامة في شهر ربيع الأول 280 هـ[10].

1- الإسماعيلية من فرق الشيعة : يثبتون الإمامة لإسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق، وقالوا لن تخلوا الأرض من إمام حي قائم، إما ظاهر أو باطن، ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص197.

2- هو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي، وسمي منصور اليمن لما أتيح له من النصر للشيعة الاسماعلية، ينظر : أبو حنيفة النعمان، المصدر السابق، ص6.

3- هو أبوعبد الله المحتسب أصله من الكوفة اسمه الحسين بن أحمد كان معلما للإسماعيلية، قتل من طرف عبيد الله المهدي سنة 298 هـ/211 م، ينظر:تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،تح:جمال الدين الشيال، د ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996، ج1،ص51.

4- نفسه، ص55.

5- علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، د ط، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1972م، صص31،32.

6- نفسه ، ص33.

7- أبو عبد الله بن أبي القاسم الرعيني بن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، ط1، مطبعة الدار التونسية، تونس، 1286 هـ، ص51.

8- موقع قريب من سطيف يقع به فج الأخيار اختاره أبو عبد الله الشيعي مركزا لدعوته. ينظر : عبد الرحمان محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2010، ج1،ص287.

9-الداعي ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار، تح : محمد اليعلاوي، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص88.

10- نفسه، ص115.

ومن العوامل التي ساهمت في اختيار بلاد المغرب لبث الدعوة الاسماعلية واختيار كتامة بالذات، ذلك أن الكاتميين اتصفوا بالبطولة والشجاعة[1]، وعبّروا كذلك عن انضمامهم للإسماعليين بمعارضتهم للأغالبة ولاة العباسيين[2]، و لم يكن ارتباطهم بالأمويين من قبل ارتباطا وثيقا، أيضا ساهم بعد بلاد المغرب عن السلطة المركزية ببغداد في قبول دعوة الاسماعليين[3]. وقد أثرت قوة كتامة وكثرتهم لتطلعهم للسلطة حتى إذا ظهرت الرافضة[4] بالمغرب فدانوا لها[5]،و يعتبر هذا أكبر عامل في هذه الموالاة.

ومن العوامل التي لا يمكن أن نغفل عنها أن صعوبة مناطق كتامة شجعت أبى عبد الله الشيعي أن يختارها مركز دعوته ودار هجرته[6]، و يرى بعض المؤرخين أن كتامة اتصفت بالسذاجة والبساطة في التفكير والدليل انقيادها بسهولة إلى الداعي الشيعي[7]، و يحكم أخرين على أن أغلب سكان البربر لا عراقة لهم في الإسلام فكانوا يدخلون بكثرة في مذهب أهل الشيعة لحداثة عهدهم بالملة وعدم تمييزهم بين العقيدة السنية وغيرها[8].

و هذا الكلام فيه أحكام مبالغ فيها ،فقد رأينا البربر خلاف ذلك، فإنهم من أكثر الشعوب الذين حموا ديار الإسلام في المنطقة،و ساهموا بأموالهم و أبنائهم في الفتوحات الإسلامية قبل حضور الشيعة إلى المغرب أصلا.

وما ناصرت كتامة وما تبعها من البربر أبا عبد الله الشيعي الا لحبهم لآل البيت وذلك ما ركز عليه الشيعي في دعوته[9].

1- محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص164.

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق ،ص168.

3- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1428 هـ/ 2007م، ص383.

4- الرافضة اظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه، وقال بعضهم لعلي أنت الإله فأحرق قوم منهم، وافترقت هده الطائفة الشيعية إلى زيديه وامامية و كسائية وغلاة، ينظر : أبي منصور البغدادي، الفرق بين الفرق، تح : محمد عثمان الخشب، د ط، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د س ن، ص35.

5- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص139.

6- محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص152.

7- موسى لقبال، دور كتامة في تأسيس الدولة الفاطيمية ، مرجع سابق، ص92.

8- محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تح : حمادي الساحلي و الجيلاني بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص224.

9- علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص40.

وبعد معارك عدة استطاعت كتامة بقيادة أبي عبد الله الشيعي من سحق جيش الأغالبة والدخول إلى رقادة[1] والقيروان سنة 292ه/905م

وعند ما وصلت الأنباء إلى عبيد الله المهدي ترك المشرق واتجه إلى المغرب، وفي طريقه سُجن لدى بني مدرار في سجلماسة[3]، لكن الشيعي تمكن من تخليصه وتنصيبه على إفريقية، ليكون في النهاية مصير الشيعي وأخوه أبو العباس القتل[4]، لكن كتامة ثارت انتقاما لأبي عبد الله الشيعي سنة 299 هـ/911م من قاتليه[5].

واستطاع عبيد الله المهدي بالتالي أن يؤسس هذه الدولة التي عرفت بالفاطمية نسبة إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم ،و أحيانا الدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي نفسه[6]، وما هذه الدولة في الحقيقة إلا واجهة للدعوة الاسماعلية[7].

1- رقادة مدينة مستحدثة خارج القيروان، اختطها آل الأغلب، وأقام بها المهدي والخلفاء الفاطميين، ينظر: عماد الدين أبي الفداء، تقويم البلدان،تح: رينود، كوكين دسيلان، د ط، دار صادر، بيروت، (د س ن)، ص143.

2- عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص54.

3- سجلماسة عاصمة بني مدرار وهي مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف وأهلها مياسير،ينظر:ابوالقاسم النصيبي ابن حوقل،صورة الأرض،دط،دار مكتبة الحياة،بيروت،1992.

4- سليمان عبد الله السلومي، أصول الاسماعيلية، (دط)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، 1409 هـ، مج1، ص276.

5- حسن ابراهيم وحسن طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي (إمام الشيعة الاسماعيلية)، (د ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د س ن)، ص190.

6- نفسه ص143.

7- سليمان عبد الله السلومي، المرجع السابق، ص358

2- الأوضاع الفكرية و المذهبية المختلفة في بلاد المغرب:

أ - المذاهب السنية :

أ-1- المذهب المالكي :

يرجع الفضل في نقل الفقه المالكي إلى المغرب لعلى بن زياد[1] الذي سمع الموطأ عن الإمام مالك، وجاء بنسخة منه إلى إفريقية فهو أول من أدخل الموطأ لإفريقية[2] .

ومن أبرز علماء المالكية الدين كان لهم دورا في تدوين ونشر مذهب الإمام مالك بالمغرب الإمام سحنون بن سعيد[3] الفقيه القاضي حامل لواء أهل السنة والجماعة في تلك البقاع[4]، وكان لسحنون في صراعه مع الأغالبة وعلمائهم أبرز الأثر في تعلق أهل القيروان بمذهب الإمام[5]، هذا عن المغرب الأدنى أما الأدارسة في المغرب الأقصى فقد اختلف المؤرخون في مذهبهم، خاصة مع مؤسس الدولة ادريس بن عبد الله لكن أغلبهم اكدوا أن الأدارسة حكموا البلاد حكما سنيا ، و يستدلون على ذلك أنه كيف تسقط الدولة الفاطمية دولة الأدارسة و هم شركاء في النسب العلوي؟[6].

ويذهب السلاوي إلى أن مذهب مالك ظهر بالأندلس أولاً ثم انتقل إلى المغرب الأقصى أيام الادارسة ثم عُمم إلى كامل إفريقية[7]. ويذهب عبد الرحمان الجيلاني أكثر من ذلك حيث يؤكد أن إدريس الأول حين وطد ملكه نهض للقضاء على ما كان بالمغرب من مختلف العقائد وجمع الناس على عقيدة السلف و الاقتصار على مذهب الإمام مالك وكان إدريس يقول:« نحن أحق بإتباع مذهب مالك وقراءة كتابه[8] ».

---

1 هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي كان عالما بارعا في الفقه ،سمع عن مالك و الثوري و لم يكن في عصره بإفريقية مثله ،سمع عنه سحنون و البهلول(ت 183 هـ/799 م)،أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية ، تح :بشير البكوش ، مر :محمد العروسي المطوي ،ط2 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1414 هـ /1994 م ،ج1 ،ص 234 .

2 عبد العزيز المجذوب ، الصراع المذهبي بافرقية إلى قيام الدولة الزيرية ،د ط،الدار التونسية للنشر ،تونس 1975 م /1395 هـ ، ص40

3 هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي فقيه بارع ،صادق الورع صارم في الحق لا يهاب سلطان شديد على أهل البدع(ت 246 هـ)، أبي عبد الله بن محمد المالكي ،المصدر السابق ،صص 346 ،347 .

4 على محمد الصلابي ،المرجع السابق، ص 496 .

5 عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق ص 70.

6 أبو العباس أحمد الناصري السلاوي الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جغفر الناصري و محمد الناصر،د ط، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1954 م ، ج1 ،ص61.

7 نفسه، ص 62 .

8 عبد الرحمان محمد الجيلالي ، المرجع السابق ،صص 250 ، 251 .

لكن وبمجرد وصول عبيد الله المهدي[1] من سجلماسة إلى القيروان أظهر تشيعه فسب أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)وأزواجه وكفرهم[2]، وأجبر هو والشيعي أهل إفريقية على اعتناق المذهب الاسماعيلي بالقوة ومنعوا من تدريس الفقه المالكي في المساجد[3]،وقد نال كثير من العلماء المالكيين العذاب وقتل الكثير منهم على يد عبيد الله المهدي[4]. ويأبى السنيون إلا أن يدعون المهدي بعبيد الله تصغيرا لعبد الله و تحقيرا له وطعنا في نسبه المشكوك فيه[5]، وحين فشلت حيل الفاطميين في صد المالكيين عن مذهبهم نهجوا معهم سياسة الإغراء بالمال [6].

ومن أبرز علماء الإسماعيلية في المغرب القاضي أبو حنيفة النعمان[7] حيث كان لهم حجة وعاصر خلفاء الفاطميين الأربعة الأوائل.

2- المذهب الحنفي :

أول من دعا لمذهب الأحناف في افريقية أسد بن الفرات الذي كان مالكيا ودفعته خصومته مع سحنون إلى التحمس للمذهب الحنفي[8], وتميز المذهب في هده الفترة أنه لأصحاب الطبقة الحاكمة, ولكن دلك لم يمنع الاغالبة لأصحاب المذاهب السنية الأخرى بالنشاط والغرض من ذلك مقاومة الآراء الوافدة من المشرق كالاعتزال والقدرية وخاصة التشيع[9].

وتعرض أصحاب المذهب الحنفي و المالكي للصراع بينهما في مسائل الاختلاف , ومن أشهر فقهاء الأحناف محمد بن عبدون وابن أبي جواد قاضي زيادة الله الأغلبي[10].

وقد كتب لمذاهب سنية أخرى الظهور بإفريقية لكنها زالت، منها مذهب الأوزاعي ومذهب الشافعي ومذهب داود[11].

---

1 اختلف في نسبه وقيل هو عبيد الله بن محمد الحسين بن إسماعيل بن جعفر الصادق ومنهم من نسبه إلى ميمون القداح (ت 322 هـ 934 م) ،ينظر :أبو عبد الله محمد الصنهاجي،أخبارملوك بني عبيد وسيرتهم، تح :جلول أحمد البدوي،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ص 23

2 ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ص 159 .

3 عبد العزيز المجذوب ،المرجع السابق ص 191 .

4 محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجذري، الكامل في التاريخ ،تح :أبي الفدا عبد الله القاضي، مج7،ط1 , دار الكتب العلمية ،بيروت ،1407ه/1987م،ص18

5 عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق، ص16.

6 محمد الصالح مرمول ، المرجع السابق ،ص153.

7هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون المغربي ,كان مالكي المذهب ثم تحول عنه إلى المذهب الشيعي الاسماعيلي له كتاب (الدعائم) و (الاختبار و الاختصار) .(ت 363هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ، تح: إحسان عباس ، د ط ،دار صادر، بيروت ، د س ن ، مج5 ، صص 415،416.

8 يحي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، مكتبة النهضة المصرية ،1965 ،147ص.

9نفسه.ص148.

10عبد العزيز المجذوب ، المرجع السابق .ص67.

11نفسه ، ص 87 .

ب- الخوارج:

إن فرقتي الخوارج والشيعة على طرفي نقيض منذ النشأة الأولى بعد فتنة سيدنا علي ومعاوية (رضي الله عنهما) ، ولا غرو أن ينتقل هدا الصراع معهم من المشرق إلى المغرب.

وارتبط ظهور الخوارج في المغرب بعاملين أساسيين: عدم استقرار الأوضاع في المشرق، وملائمة الأحوال السياسية و الاجتماعية في المغرب[1]، ويقف على رأس العوامل المهمة في نشر المذهب الخارجي في المغرب الإسلامي حركة الدعاة سلمة بن سعد داعي ال ومعاوية (رضي الله عنهما) ، ولا غرو أن ينتقل هدا الصراع معهم من المشرق الإباضية[2] و عكرمة مولى ابن عباس داعي الصفرية[3]. وما يمكن تسجيله أن اعتناق المغاربة لمذهب الخوارج ما هو إلا تعبيرا عن نزوعهم الدائم ل ومعاوية (رضي الله عنهما) ، ولا غرو أن ينتقل هدا الصراع معهم من المشرق للإستقلال[4].

1- الصفرية:

مما ساهم في انتشار مذهب الصفرية[5] في المغرب اختلاطهم بسكان المغرب ، وتزويجهم نسائهم إلى مخالفيهم، مما أتاح لهم معايشة المغاربة وممارسة دعوتهم[6] وقد وجد أبو عبد الله الشيعي فرصة للانتقام من الصفرية حين وصل سجلماسة سنة 296 هـ 910 م فقتل كثير من علمائهم وأحرق مدينتهم[7].

---

1. محمود إسماعيل ، الخوارج في المغرب الإسلامي ،د ط ، دار العودة، بيروت ،1976 ص 23.

2 الاباضية اليوم يرفضون أن ينسبوا إلى الخوارج ويقولون أنهم بعيدون عنهم في العقائد و الأعمال ،وإن كانوا قد أبوا التحكيم إلا أنهم لم يخرجوا عن الإمام على رضي الله عنه ،وأن الذي نسبهم للخوارج هم الأمويين .ينظر :محمد على دبوز ،تاريخ المغرب الكبير ، ط1 ،دار أحياء الكتب العربية ،د م ن 1382 ه 1963 م ج 2 ،صص 394 ،395 .

3 موس لقبال ،المغرب الإسلامي ،مرجع سابق ،ص 153.

4 عبد الله العروي ،مجمل تاريخ المغرب ،طد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،1996 ، ج1، ص 149.

5 هم إتباع زياد بن الأصفر يقولون أن أصحاب الذنوب مشركون وأن كل ذنب ليس فيه حد فصاحبه كافر ،ينظر: أبي منصور البغدادي ، المصدر السابق .صص 85.84.

6 محمود إسماعيل ، المرجع السابق ص 38

7 محمد الصالح مرمول ،المرجع السابق ص319

2- الاباضية :

لاشك أن قيام دولة شيعية لم يكن يسمح بوجود دولة تدين بالمذهب الخارجي مجاورة لهم ،لدا قاد أبو عبد الله الشيعي جيوشه لتاهرت للقضاء على الإباضيين فواجههم بالقمع والتنكيل وأمر بحرق عاصمتهم حتى أن مكتبة المعصومة[1] لم تسلم من الحرق[2].

ولم يكن إسقاط الحكم الرستمي ليقضي نهائيا على النفوذ الاباضي في بلاد المغرب وتمكن الخوارج الاباضيين الذين فروا من المذبحة الشيعية من التوغل إلى الصحراء ولجؤا إلى واحة يمتلكها بنو سدراته [3].

وظلت وارجلان وجبل نفوسه[4] معقلين رئيسيين لاباضية[5] المغرب وعبثا حاولت جيوش الفاطميين غزوهم لكن دون جدوى[6].

إلا أن الحدث الضخم الذي هز الدولة الفاطمية هزا عنيفا تمثل في الثورة الكبرى التي أشعلها الثائر الخارجي البربري أبو زيد مخلد بن كيداد[7] الذي كاد أن يسقط دولة بنى عبيد[8]، وحالفه في ثورته البربر من أهل المغرب والخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر الذي أمده بالمال والعسكر مقابل اعتراف أبا يزيد بالسيادة الأموية على المغرب[9].

وقد مثلت ثورة مخلد بن كيداد صراعا بين الخوارج في مواجهة الشيعة الإسماعلية[10].

---

1 مكتبة المعصومة كان فيها من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب ما يؤسف لفقده اليوم واشتملت على ألاف المجلدات انتهبها وحرقها أبو عبد الله الشيعي . وقد كان لبني رستم عناية كبيرة في جمع الكتب النادرة .ينظر : سليمان داود بن يوسف ، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي ،د ط ،مطبعة أبو داود ،الجزائر 1993 ص 63 .

2 محمد الصالح مرمول ،المرجع السابق ص 140

3 جورج مارسية بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، تر :محمود عبد الصمد هيكل، تح : مصطفى أبو الضيف أحمد ،د ط ، منشأة المعارف الإسكندرية ،مصر ،1991 ،ص 133.

4 نفوسة جبل عال منيف في وسطه مياه جارية وأعناب وتين به معسكر الاباضية والوهبية ،ينظر :ابن حوقل، المصدر السابق ،صص 92 93.

5 ينسبون إلى عبد الله التميمي بن اباض قالوا إن مرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن، وأن مخالفيهم كفار كفر نعمة لا كفر ملة : ينظر :الشهرستاني .المصدر السابق، ص 146 .

6 محمود إسماعيل المرجع السابق، ص 147.

7 هو أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله مغيث الزناتي من زعماء الاباضية كان معلما للصبيان قام بثورة على الفاطميين في المغرب (ت 336 هـ 947 م) ينظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ط15 دار العلم للملايين ، بيروت ، د س ن ج7 ، ص194 .

8 يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية بافريقية ،ط1،جامعة أم القرى،مكة، السعودية،1421ه 2000م، ص 71 .

9 أحمد مختار العبادي ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،د ط ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،مصر ،د س ن، ص76 .

10 محمود إسماعيل،المرجع السابق ،ص177.

3- الدول المستقلة وأثرها في نجاح قيام الدولة:

إن الظرف الذي حضر فيه عبيد الله المهدي لأرض المغرب كان مواتيا لنشاط دعوته وقيام دولته ، لان الدول المستقلة بالمغرب حينها كانت في أواخر عهدها وقد دب إليها الوهن وشق صفها الطمع في الملك وهذه الدول هي :

أ- الأغالبة :

دولة الأغالبة كانت مرتبطة ارتباطا ضعيفا بالدولة العباسية[1]، وكانت حكومتهم تابعة لهم اسما ومستقلة فعلا[2]، وجندها مؤلف من عرب وبربر ومن أهل الشام وخراسان ليس لهم غاية دينية [3] كأنهم (مرتزقة) ، لذلك لم يكن لهم من الإخلاص كما كان لجند أبي عبد الله الشيعي .

واحتدم الصراع بين الأمير الأغلبي زيادة الله وأبا عبد الله الشيعي فألحق به هذا الأخير الهزيمة ، وتعود هزيمة زيادة الله إلى انصرافه لحياة اللهو واللعب وأن وزرائه أصبح معظمهم شيعة[4]، حيث انسحب إلى الأربس[5]، ثم جمع ماله وولده وهرب إلى مصر سنة 296 هـ، ودخل أبو عبد الله رقادة في رجب من نفس السنة وتبرأ أهله من الاغالبة[6].

ب- الرستميون :

بعد استيلاء الشيعي على رقادة قصد سجلماسه لتخليص عبيد الله المهدي من سجنه وفي طريقه نزلت قواته الجرارة بتاهرت عاصمة الرستميين وهي نقطة احتكاك إفريقيا جنوب الصحراء و المغرب حيث كانت تحط بها رحال التجار لذا حظيت بمكانة متميزة[7]، لكن وضعها العسكري كان سيء للغاية ولم يلق أبو عبد الله الشيعي بها مقاومة لإسقاطها، وقد انهمك أمرائها في ملذاتهم وتنافسوا فيما بينهم على السلطة فذهبت هيبتهم وكرهتهم العامة[8]، ولم يكن للدولة الرستمية جيش نظامي بل مؤلف من جنود متطوعين[9] ولهذه الأسباب سقطت دولة الرستميين دون قتال في يد أبي عبد الله الشيعي سنة 297 هـ / 909 م[10].

1-عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ص54.

2-محمد مبارك الميلي ، ص603.

3-نفسه ، ص610.

4-المقريزي ، المصدر السابق ، ص.59

5-قرية توجد بجوار مدينة الكاف شمال مدينة تونس ، ينظر موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ، مرجع سابق ، ص16

6-المقريزي ، المصدر السابق ، ص62 .

7-عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ص 50.

8-محمد الصالح مرمول ، المرجع السابق ص53.

9-عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ص52.

10-أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ص48 .

ج- دولة الأدارسة :

تأسست هذه الدولة في شمال المغرب وهي مستقلة استقلالا تاما عن بني العباس إلا أنها غير مركزية[1]، ويرجع السبب أنه لما توفي إدريس الثاني ابن إدريس بن عبد الله سنة 213 هـ/828م ، ترك 12 ولدا، فرق ابنه محمد البلاد على إخوته بأمر جدته كنزة وذلك مما سهل على العبيديين دخول فاس عاصمةالأدارسة[2].

وكان عبيد الله المهدي قد أرسل قائده مصالة بن حبوس المكناسي إلى المغرب الأقصى سنة 305 هـ/911م فدخل فاس وألقى القبض على يحي بن إدريس الثاني ثم نفاه[3]، وبهذا وضع حدا لدولة الأدارسة[4].

د- دولة بني مدرار :

لما سمع أبو عبد الله الشيعي بسجن عبيد الله المهدي في سجلماسة، كاتب أبو عبد الله اليسع بن مدرار وتلطف له في القول فأرسل إليه من اجل فك سراح المهدي، لكن ابن مدرار أبى، فاضطر أبو عبد الله الشيعي لاقتحام سجلماسة وإطلاق سراح المهدي والظفر باليسع وقتله[5] ويذكر المقريزي أن ابن مدرار هرب وتم إطلاق سراح المهدي ومعه ابنه القائم سنة 296هـ/908م[6]. ويمثل سقوط دولة بني مدرار على يد الفاطميين انتصار كتامة على مكناسة وتغلب البرانس على البتروهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة[7].

وبتضحيات أبي عبد الله الشيعي ودهائه تمكن من كسب تأييد قبائل البربر وتكوين جيش ضخم في سنوات معدودة ، قضى بواسطته على دول المغرب المستقلة، وقد أرسى بذلك قواعد للدولة الجديدة.

ونقل مولاه المهدي من السجن إلى العرش برقادة ، ولكن عبيد الله المهدي لم يحبذ فكرة الإقامة في رقادة والقيروان لأنهما لا تصلحان في رأية لتحقيق أغراضه الدينية والسياسية[8] وهما مركزا المقاومة السنية ،لذلك أسس مدينة جديدة على الساحل[9] سنة 303 هـ / 915 م وسماها المهدية[10].

1-مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص576

2-مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ، ط1 ، دار ابي رقراق ، الرباط ، المغرب ، ،2005، صص 200 ، 201

3-أحمد الناصرى السلاوي ، المرجع السابق ، صص 79 ، 80

4-يحي هويدي ، المرجع السابق ، ص189 .

5-ابن ابي دينار ، المصدر السابق ، صص 52 ، 53 .

6-ابن الاثير ، المصدر السابق ، ص17

7-محمود اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 165.

8-عبد الحميد حسين حمودة ، المرجع السابق ، ص393.

9-ايمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية تفسير جديد ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1413 هـ /1992 م ،ص57 .

10-مدينة بناها المهدي الشيعي على ساحل البحر المتوسط ،أحاطها بأسوار عالية ، وأبراج وأبواب ضخمة ، ينظر، الحسن الوزان،المصدر السابق، صص 85 ،86

الفصل الثاني: نشأة الدولة الزيرية واستقلالها عن السلطة الفاطمية

1. استخلاف الفاطميين للزيريين في حكم إفريقية والمغرب.
2. انتقال السلطة من الفاطميين إلى بني زيري.
3. مراحل خروج بني زيري عن السلطة الفاطمية.

1- استخلاف الفاطميين للزيريين في حكم إفريقية والمغرب

أ- نسب صنهاجة:

ما يمكن قوله في نسب صنهاجة هو الذي تقريبا قيل في قبيلة كتامة لكونهما فصيلين بربريين من فرع البرانس، ورغم ذلك احتفظت كل قبيلة بخصائصها ومواطنها.

فقبيلة صنهاجة واحدة من أكبر قبائل البربر ولا يكاد يخل قطر من أقطار المغرب من بطونها ولربما شكلت ثلث البربر[1]، وتظفر كتلة صنهاجة لوحدها بنصف مجموع البرانس ومنها صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب[2].

وصنهاجة من ولد صنهاج وهو تحريف عربي للفظ صناك البربري وقيل أن بطونها تنتهي إلى سبعين بطن[3].

ومن أهم بطون صنهاجة قبيلة تلكاتة التي ترأست القبائل الصنهاجية المتواجدة بافريقية والمغرب الأوسط وكانوا الدرع الواقي الذي تصدى للقبائل الزناتية[4].

وعلى الرغم من أن صنهاجة قبيلة عريقة قد شاركت في أحداث البلاد ومن زعمائها مناد بن منقوش الذي كان من عمال الأغالبة[5]، ورغم أدوارها الخطيرة التي لعبتها في تاريخ المغرب الإسلامي إلا أن المصادر لم تقف على حقيقة نسبها[6]، فكما أشرنا أن ابن خلدون ينسبها إلى البربر فان غيره ينسبها للعرب. فمن ذلك قول المراكشي : «فالبربر كلهم من ولد حام بن نوح خلا صنهاجة فإنهم يرجعون إلى حمير»[7] وهو الاختلاف نفسه الذي وقع في نسب كتامة وغيرها من قبائل البربر.

أما مواطن صنهاجة فهي مجاورة لكتامة من جهة الشرق ومجاورة لزناته من جهة الغرب، ويمتد وطنها من مسيلة[8] جنوبا الى ساحل البحر شمالا، ويشمل مسيلة وحمزة وجزائر بني مزغنة[9] والمدية وملیانة، ويعتبر موطنها من أخصب المناطق[10].

1- ابن خلدون المصدر السابق ص201.

2- موسي لقبال دور كتامة في تأسيس الدولة الفاطمية، مرجع سابق، صص81،80.

- صنهاجة الجنوب متاخمة لنهري النيجر والسنغال والبحر المحيط ينظر: موسى لقبال المرجع نفسه ص81.

3-محمد الطمار, المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ،د ط، المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2010، ص17.

4- بوزياني الدراجي,القبائل الامازيغية أدوارها,مواطنها،أعيانها،د ط،دار الكتاب العربي،الجزائر،20،ج2،ص56.

5-محمد الطمار الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج,د ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع,الجزائر,1983، ص119

6- بوزياني الدراجي، المرجع السابق،ص54.

7- عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق،ص173.

8- مدينة جليلة أسسها إسماعيل بن عبد الله القائم سنة 313هـ و أوكل بناءها لعلي بن حمدون الأندلسي و استعمله عليها،ينظر:أبي عبيد البكري،المسالك و الممالك،د ط، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة، د س،ن ص59.

9- مدينة عليها سور على سيف البحر فيها أسواق كثيرة لها عيون طيب شربها و بها كثير من البربر،ينظر:ابن حوقل، المصدر السابق،صص77،78.

10- محمد الصالح مرمول،المرجع السابق،ص17.

2- العلاقات بين الفاطميين وبني زيري الصنهاجيين :

لقد سبقت العلاقات الفاطمية الزيرية الاستقلال بسنوات، لأن الفاطميين كانوا يحرصون على استمالة القبائل التابعة لهم، وكانت صنهاجة قبل ذلك تلتزم الحياد في الصراع الفاطمي الأموي، ثم تحيز الصنهاجيون للفاطميين انتقاما من خصومهم التاريخيين زناته[1]، وقد كانت العداوة بين صنهاجة وزناته بسبب تصدي زيري بن مناد للزناتيين شهرة له[2].

وحين قرر زيري تأسيس مدينة أشير[3] سنة 324 هـ/936م، أرسل في طلب عدد من الصناع للخليفة الفاطمي القائم فأجابه[4].

ولما قويت شوكة الثائر أبي يزيد وكادت تقضي على السلطان الفاطمي. فلم يخطر ببال القائم إلا زيري بن مناد فكاتبه يستحثه، فعجل زيري بالرد، وأخرج إليه مائتي فارس وخمسمائة عبد وألف جمل من الحنطة لفك الحصار على المهدية[5]، ومهما قل هذا الحجم من الإعانة أو كثر فان فيه دلالة صريحة على مدى متانة العلاقات بين الخليفة الفاطمي وزيري بن مناد.

واستطاعت صنهاجة بفضل تنظيمها المحكم وانتصاراتها على خصومها أن تلفت أنظار الفاطميين خاصة في صراعها مع أموي الأندلس[6].

وفي عهد المنصور بالله الفاطمي بعث إلى زيري بن مناد أموالا جمة وثيابا وذهبا فاستمال به النفوس, فأجابه زيري بالطاعة وحشد إليه الغفير من صنهاجة[7] لمواجهة مخلد بن كيداد، ولم تتوقف مجهودات زيري عند هدا الحد بل أنه قدم يد المساعدة لجوهر الصقلي في حملته على المغرب الأقصى سنة 347 هـ/ 958 م[8].

ولتمام العلاقة بين زيري والفاطميين وإخلاصه لهم أن فقد حياته سنة 360 هـ/970م وقطع رأسه وهو يحارب لجانب الفاطميين[9].

1- محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، مرجع سابق،صص24،25.

2- عبد الله محمد ،جمال الدين، الدولة الفاطمية،دط،دار الثقافة،القاهرة، 1411ه/1991م،ص78 .

3-مدينة حصينة بناها زيري بن مناد وأحاطها ابنه بلكين بسور سنة (367 هـ/978م)،ثم خربها يوسف بن حماد،ينظر أبو عبد الله البكري، المصدر السابق،ص60.

4- صالح يوسف بن قربة،تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد،طبعة1 منشورات الحضارة،الجزائر,200، ص30.

5- محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، مرجع سابق،ص31 .

6- رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80-362هـ/699-673م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط،إشراف بوبة مجاني, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،جامعة منتوري قسنطينة,14،6-1427هـ/2005-2006م،ص81.

7- أبو عبد الله الصنهاجي،المصدر السابق ص38.

8- شوقي ضيف،عصر الدول والإمارات,طبعة1، دار المعارف، القاهرة،د س ن، ص34.

9- ابن خلدون، المصدر السابق،ص205.

بعدها قام بلكين بن زيري عازما للثأر من قتلة أبيه ففتك بعدد كبير من زناته في نواحي طبنة[1] وباغاية[2] والمسيلة، ولاحق أعداءه حتى وصل سجلماسة، فخافه أميرها وأعلن ولاءه للفاطميين[3]، وبهذه الهبة الفضولية عظم أمر بلكين واستخلصه المعز الفاطمي لنفسه بأن عقد له على أشير وتاهرت وضم إليه المسيلة والزاب[4] وماحولها[5].

وعليه فقد وجدت صنهاجة في الفاطميين حليفا سياسيا وعسكريا للقضاء على خصومهم زناتة، ووجد الفاطميون في صنهاجة درعا واقيا من أي خطر يحدق بهم من المغرب من جهة الأمويين وزناتة المتحالفة معهم[6].

ورغم انتشار المذهب الاسماعيلي إلا أن بلاد المغرب لم تكن صالحة لإقامة دولة قوية، لذلك توجهت أنظار الفاطميين إلى مصر وكانت هدفهم من البداية[7]، وسير لها المعز الفاطمي خادمه جوهر فغزاها وافتتحها سنة 358 هـ/969 م وابتنى له القاهرة[8] المعزية.

وقد كان لجوهر الصقلي مكانة وفضل كبير على الدولة الفاطمية ولبيان ذلك قال فيه ابن الخطيب : أغزي إلى الغرب فتاه جوهر

كم معقل هد وملكٍ قهر

ثم رمى به ديار مصر

في طالع مقترن بالنصر[9]

1- طبنة بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهبلي،يسكنها العرب و العجم،بها،مياه عذبة و بساتين ليس بين القيروان وسجلماسه أكبر منها،ينظر: البكري ،المصدر السابق ،ص51.

2- مدينة كبيرة عليها سور بها مياه جارية و بساتين كثيرة أكثر غلاتها الحنطة و هي بلد بربري على أميال من جبل أوراس،ينظر:ابن حوقل،المصدر السابق،ص84.

3-رشيد بورويبة و آخرون ،الجزائر في التاريخ ،تر:محمد بلقراد،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص157.

4-إقليم يمتد غربا من مسيلة و شرقا إلى الجريد،منطقة رملية شديدة الحرارة ،لايوجد بها كثير ماء ،لكن حدائق النخيل فيها لا تحصى، ينظر الحسن الوزان،المصدر السابق،ص138.

5-إبن خلدون،المصدر السابق،ص205.

6-رضا بن النية،المرجع السابق،ص82.

7- حسن إبراهيم وطه احمد شرف،المرجع السابق،ص172.

8-أبو عبد الله محمد القضاعي بن الآبار،الحلة السيراء،تح: حسين مؤنس،ط2،دارالمعرفة،القاهرة ،1985،ج2،صص393/392.

9- أبو عبد الله محمد الغرناطي بن الخطيب،رقم الحلل في نظم الدول،د ط،المطبعة العمومية،تونس 1216هـ،ص31.

2- انتقال السلطة من الفاطميين إلى بني زيري:

لما رأى الفاطميون أن ساعة الرحيل إلى مصر قد تهيأت وسيغادرون المغرب دون رجعة، رأوا أن المؤهل لحكم المغرب بعدهم هم الصنهاجيون[1].

فعرض الأمر على بلكين بن زيري ثم ولاه أمر افريقية والمغرب ما عدا صقلية لبني أبي الحسن الكلبي, وطرابلس لعبد الله بن يخلف الكتامي، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة ووصله بالألبسة الفاخرة[2].

والأكيد أن هذه العطاءات والتشريفات هي إغراء لبلكين وأوصاه بثلاث : «أن لا يرفع السيف عن البربر, ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحدا من أهل بيته»[3]، وقد وضحت هذه الوصية السياسة العامة التي يجب أن يسوس بها بلكين حكم المغرب وافريقية في ظل الفاطميين، وتضمنت الوصية أربعة مبادئ أن البربر أهل اضطراب لا يخضعون للسلطة، وأن سكان البوادي لا يصلح خضوعهم إلا بالضريبة، وأن أهل الحضر هم عصب الدولة وقوتها وأن لا يوالي أحدا من أهله لشدة الاختلاف بين الأخوة[4].

ولنا أن نتساءل لماذا آلت خلافة المغرب لصنهاجة بدل كتامة؟ رغم أن كتامة صادقة التشيع وأن الدولة الفاطمية قامت على كواهل رجالها، ومرد ذلك حسب تتبع أخبار المصادر والمراجع أن كتامة أضحت غير مأمونة الجانب لكثرة ثوراتها ضد الخلافة، وكثير من أبطالها قضوا في تأسيس الدولة وتسكين الثورات وفتح مصر، ثم أنها غير مجاورة لزناتة أعداء الفاطميين كمجاورة صنهاجة لهم[5].

وساعد الحال المعز الفاطمي كما أشرنا فملك مصر وحقق أمل أجداده دون كبير مشقة، وانتقل من افريقية واستقر بقصره في القاهرة في شعبان 362 هـ /972م[6].

1- الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري) تر:حمادي الساحلي،ج1،ط1 دار الغرب الإسلامي بيروت،1992،ص71.

2- ابن خلدون، المصدر السابق،ص206.

3- نفسه ص206.

4- عبد الحميد سعد زغلول،تاريخ المغرب العربي،ط د،منشأة المعارف،الإسكندرية,199،,ج3 ص283.

5- مبارك الميلي،المرجع السابق،ص648.

6- ابن الآبار، المصدر السابق،صص392,391.

وبرحيل المعز إلى مصر كان هذا آخر عهد للعرب بالدولة في افريقية، وصار الملك للبربر جيلا بعد جيل[1]، وانتقلت السلطة رسميا من العنصر العربي إلى البربري[2]. وغادر بنو زيري عاصمتهم أشير واستقروا قرب القيروان في صبرة، وحافظ بلكين على خصائص القائد البربري الشديد وتصرف تصرف الوالي الأمين[3].

وكان بلكين في مستوى المهمة التي أسندت إليه وأداها أحسن أداء، فأخضع المغرب الأوسط[4]، ودخل المغرب الأقصى سنة 368 هـ/979م واستولى على غالب مدنها، فهدم مدينة البصرة[5] ومحا رسمها[6]، وفي سنة 369 هـ/980م نزل على فاس وقتل سلطانها ثم سار لسبتة فلم يقدر عليها فعاد أدراجه إلى افريقية[7]، وملك سجلماسة وبلاد الهبط وطرد منها جميع عمال بني أمية[8]، وكأننا ببلكين بن زيري يعيد أمجاد أبو عبد الله الشيعي.

واختيار بلكين على ولاية المغرب من طرف المعز أمر غاية في الدهاء لأن ذلك أحدث صراعا شرسا بين بلكين وجعفر بن علي بن حمدون والي الزاب والمسيلة[9]، وكانت سياسة المعز للاحتفاظ بتبعية المغرب للفاطميين أن يعمل على إضعافه وإثارة الفرقة بين قبائله فتدخل في حروب مع بعضها ولا تفكر في الخروج عن الفاطميين، لذلك قد بذل ما في وسعه بين صنهاجة وزناتة والتفرقة بينهما[10].

ولاشك أن السياسة التي سلكها الفاطميون من قبل إيثار قبيلة على أخرى وفي اصطناع زعماء وترك آخرين، كان لها أبلغ الأثر في انشقاق الوحدة بين قبائل البربر[11].

1- عبد العزيز المجذوب،المرجع السابق،ص198.

2- محمد علي الصلابي،المرجع السابق ،ص 73.

3- محمد الهادي الشريف،تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ على الاستقلال،تع محمد الشاوش: محمد عجينة،ط3 دار سراس للنشر، تونس,1983 ص47.

4- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب و الأندلس، د ط ،مكتبة نهضة الشرف ، القاهرة ،د س ن،ص184.

5- البصرة أسسها محمد بن إدريس الثاني باني فاس،سميت بالبصرة تذكير ببصره العراق بها حدائق وسهول ممتازة،ينظر:الحسن الوزان ،المرجع السابق ،ص ص 310،311.

6- إبن عذاري المراكشي،المصدر السابق ،ص231.

7- إبن أبي زرع الفاسي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس،د ط،صور للطباعة،الرباط ،1972،ص101.

8- ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق،ص231.

9- الهادي روجي إدريس ،مرجع السابق،ص64.

10- حسن خضيري أحمد،علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب،ط1مكتبة مدبولي ،د س ن،ص32.

11- رابح بونار,المغرب العربي، تاريخه وثقافته د ط،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1986,ص189.

ولما توفي المعز بالله الفاطمي 365 هـ /976م خلفه العزيز بالله الذي جدد الولاية لبلكين على المغرب وأضاف له طرابلس وسرت[1]، وهكذا فقد شهدت الدولة الزيرية أقصى

اتساعها في فترة حكم بلكين بن زيري، ورغم زعامة بلكين لبلاد المغرب لم يكن في النهاية إلا تابع للفاطميين يرسل الهدايا والإتاوات للقاهرة عن طريق أشخاص هم أعوان له وعيونا عليه[2]، إلا أن ذلك لم يمنع الصنهاجيين مع تبعيتهم, أن يبلغوا درجة الملك وتصبح لهم ضخامة وصيت[3]، ثم أن انتقال الملك للبربر لم يكن وليد صدفة بل هو تطور طبيعي إذ أن البربر ظلوا سنين طويلة تحت الحكم العربي على النظم الإسلامية في إدارة الدولة[4]،مما منحهم خبرة ودراية في تسيير شؤون الحكم.

3- مراحل استقلال وخروج بنو زيري عن السلطة الفاطمية :

أ- المرحلة الأولى :

لما تولى المنصور بن بلكين الحكم سنة 373 هـ/ 984 م جاءه القضاة والأشراف والعلماء يعزونه في والده ويهنئونه بجلوسه على العرش فقال في حضرتهم : «إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا، وأنا لا أخدهم إلا بالإحسان وما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب أو يعزل بكتاب، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير»[5].

وقد دلت هده الخطبة بما لا يدعوا مجالا للريب أنها من الإرهاصات الأولى الدالة على نية الزيريين في الاستقلال، وعلى اعتداد المنصور بنسبه إلى حمير.

1- ابن أبي دينار,المصدر السابق,ص75.

2- شارل أندري جوليان،تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي والبشير سلامة،دط،دارالزيتونة للنشر،تونس,198،,ج1،ص89.

3- ابن أبي دينار،المصدر السابق، ص71.

4- شوقي ضيف،المرجع السابق،ص،34.

5- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص239.

وبعد استلامه للحكم عقد لعمه أبي البهار على تاهرت وأخيه يطوفت على أشير، وفي بداية عهده أرسل لإلقاء القبض على عبد الله بن محمد الكاتب والي بلكين على افريقية لأنه كان منبوذا عند الرعية لإثقاله ظهورهم بالضرائب ولإكراههم على التشيع[1]، فتمكن المنصور من قتله بنفسه، وكان ذو حظوة عظيمة لدى الخليفة الفاطمي حتى ظن الزيريون أنه يخطط للاستيلاء على حكم افريقية[2]، ولكن القلاقل والفتن لم تتوقف في عهد المنصور فقد أعلنت سجلماسة خروجها عن طاعته[3]، وثار عليه عمه أبو البهار وتحالف مع زيري بن عطية صاحب فاس من قبل الأمويين[4].

ولم يكن الخليفة الفاطمي العزيز بالله ليترك أحوال الزيريين مستقرة لأن ذلك مدعاة لاستقلالها، فأرسل العزيز بالله الداعي أبو الفهم الخراساني ومعه وجوه كتامة لإحداث الفتنة في صفوف الزيريين، لكن المنصور تفطن للخطة فقاتل أبا الفهم وصنهاجة شر قتال[5].

وما هي إلا سنوات حتى خرج اثر أبو الفهم رجل كتامي يدعى أبو الفرج، فاجتمعت إليه كتامة فاستأصلهم المنصور، ولم ترفع كتامة رأسها بعد ذلك واستسلمت نهائيا لسلطان صنهاجة[6]، وليس بغريب على العزيز بالله وغيره من خلفاء الفاطميين ضرب القبائل البربرية ببعضها لإضعافها.

ويعتبر إعدام الداعي عبد الله الكاتب وإخضاع كتامة في عهد المنصور من المؤشرات العملية على رغبة الزيريين في الاستقلال التام بحكم افريقية[7]، وفي بادرة تنم عن تطلع المنصور للاستقلال عن الفاطميين وبغضه لمذهبهم أن عبدا من عبيده قذف بعض الصحابة رضي الله عنهم، فلم يرض المنصور بذلك فأمر بقتله وصلبه[8].

1- محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجة،مرجع سابق،ص59.

2- رشيد بورويبة المرجع السابق،صص164,165.

3- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص،241.

4- رشيد بورويبة ،المرجع السابق ،ص166.

5-محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجة،مرجع سابق ،ص55.

6-نفسه،ص61.

7-الهادي روجي إدريس،المرجع السابق,،ص74.

8- محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجة،مرجع سابق،ص64.

ورغم نية المنصور في الاستقلال إلا أنه بقي يتبادل الهدايا مع الخليفة الفاطمي، وإن رأى البعض أن هذا الموقف فيه تناقض لأن السياسة تقتضي أن يكون متناقضا كما يبدو[1].

وبعد وفاة المنصور سنة 386 هـ/ 996 م وتولي ابنه باديس الحكم تمردت عليه زناتة، واستغل زيري بن عطية المغراوي الفرصة سنة389 هـ/999م وزحف على صنهاجة فهزم جيوشها ودخل مدينة تاهرت وتلمسان وشلف ووصل أشير وحاصرها[2]، وإزاء هذه الأوضاع وجه باديس عمه حماد وأمده بالمال والسلاح للقضاء على حركة هؤلاء الثائرين ولكن بعد انتصار حماد بدأ بشق الطاعة على الزيريين واختط مدينة القلعة سنة 398هـ/1007م شمال شرقي مدينة مسيلة[3].

وكان رد فعل باديس على عمه حماد حين أعلن استقلاله أن وجه إليه عمه الآخر إبراهيم ابن بلكين، وما كاد هذا الأخير يصل إلى القلعة حتى انضم لأخيه حماد فاضطر حينها باديس لمحاربة عميه[4].

ورغم الحروب التي كانت تخوضها الدولة الزيرية مع زناتة من جهة الغرب، والفتن التي تثيرها الدولة الفاطمية من جهة الشرق فإن ذلك لم يكن حاجزا أمام تفكير كل الخلفاء الزيريين الذين جاءوا بعد بلكين بالخروج عن طاعة الفاطميين، وبالفعل فقد بدأوا يحيدون شيئا فشيئا عن سبيل التبعية بسلوكهم سياسات استقلالية[5].

ومع ما كانت تتخبط فيه الدولة الزيرية من مواجهات مع المتمردين إلا أن حكامها استطاعوا أن يوفروا لرعيتهم رخاءا لم تعرفه افريقية من قبل[6].

وقد كان باديس بن المنصور واضحا في نهجه حين بعث له الخليفة الفاطمي يهدده فرد عليه باديس عن طريق رسوله :«قل لأميرك أن لنا ملك افريقية قبل أن يكون للعبيديين ذكر»[7].

1- محمد الطمار،المغرب الأوسط في ظل صنهاجه المرجع السابق،ص190.

2- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق،ص107.

3-رشيد بورويبة،المرجع السابق، ص170.

4- السيد عبد العزيز سالم ،المغرب الكبير في العصر الإسلامي ،د ط ،دار النهضة العربية ،بيروت،1981،ج2، صص651،652.

5- محمد الهادي الشريف،المرجع السابق،صص47،48

6- ألفرد بل،الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي،تر:عبد الرحمان بدوي ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1981،ص205

7- عبد الرحمان محمد الجيلالي،المرجع السابق ،ص334.

وقد تدرجت صنهاجة من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك ومن مراتب المشيخة إلى مراتب الأمراء حتى انتهى بهم الحال إلى الاستبداد والسلطان المطلق[1].

ولبيان أن بني زيري كانوا أهل سلطان حقا فقد تمكن فرع منهم من إقامة ملك في غرناطة، يتداولونه بعد أن دخلها زاوي بن زيري لاجئا إلى الأندلس بإذن من ابن أبي عامر[2].

ب- المرحلة الثانية :

لما توفي باديس بن المنصور سنة 408 هـ/1017م،عينت أخته أم ملال وصية على الأمير الصغير المعز بن باديس،فقامت بتلك المهمة على أكمل وجه[3]، وكان عمره إذ ذاك ثمانية أو تسعة أعوام، وتربى في أحضان وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال وكان ورعا وكانت إفريقية حينئذ على مذهب الشيعة، فحرص ابن أبي الرجال على تنشئته على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة[4].

وفي هذه الأثناء خرج زاوي بن زيري من الأندلس بعد المشاكل التي ألمت به قاصدا افريقية طامعا في حكمها, لأن المعز طفل صغير، ولما وصل إلى القيروان دس له وزراء المعز السم فمات لأن في رأيهم المعز على طفولته أهون عليهم من داهية مثل زاوي[5]، لكن ابن الأثير أورد الرواية بصورة مخالفة إذ يرى أن زاوي لما وصل إلى افريقية أكرم ولم يذكر قتله[6].

1- بوزياني الدراجي،المرجع السابق ،ص56.

2- أبو عبد الله محمد الغرناطي بن الخطيب,الإحاطة في أخبار غرناطة ،تح: محمد عبد الله عنان، ط2،مكتبة الخافجي،القاهرة ،1393هـ/1973م، مج1،صص513،514.

3- الهادي روجي إدريس،المرجع السابق ص177.

4- ابن عذاري المراكشي, صص274,275.

5- عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله(التبيان)،تح:ليفي بروفنسال،دار المعارف ،مصر,د س م، صص 24،25

6- ابن الأثير،المصدر السابق،ص90.

وحصل في عهد المعز بن باديس الصلح بينه وبين عمه حماد بعد أن وجه حماد رسولا إلى المعز يسأله العفو والصلح فوقع بينهما الصلح 408 هـ/ 1017 م[1]، ولإ ثبات الأمر فقد زوج المعز أخته بعبد الله بن حماد[2].

وبدأت بوادر الخروج عن طاعة الفاطميين تلوح في الأفق كما يروى ابن خلدون أن المعز لما كان ذات يوم فكب به فرسه فاستغاث بأبي بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا على الشيعة من حينهم وقاتلوهم[3]، لكن ابن الأثير يرى خلاف ذلك وأن الأمر وما فيه أن المعز كان في القيروان فرأى جماعة من الناس قال:« من هؤلاء», فقيل رافضة يسبون أبا بكر وعمر فقال: رضي الله عنهما، فانطلق العامة في قتل الشيعة شر قتل[4].

ومهما اختلفت الروايتين فإنهما قد دلتا على عدم رضا المعز بن باديس في تواجد الشيعة بافريقية، ونيته في قتالهم وعلى مدى تعلق أهل القيروان بالسنة وبغضهم لأهل الشيعة، وأهل الشيعة حينها لا يعلمون ذلك[5].

ومما شجع أهل القيروان على قتل الشيعة أن المعز لا يزال يتحامل على بني عبيد ويلعنهم خفية ويؤذي أشياعهم، ثم آل به الأمر إلى التصريح فلعنهم على المنابر، وأمر بقتلهم وتتبعهم في الأقطار[6]، ومن مظاهر رفض المعز التبعية للفاطميين أن :

قطع الدعوة لهم على المنابر، وأمر بلعنهم في الخطب وسبهم[7]، ومحا اسمهم من الطراز والسكة، أحرق آياتهم وبنودهم[8]، أمر بالدعوة للخليفة العباسي القائم بأمر الله وسير إليه رسولا[9]، ضرب الدينار المسمى التجاري باسمه[10]، وما ميز نقود المعز عدم نقش اسمه على السكة خلافا للفاطميين، وكتب بالخط الكوفي البسيط بدل الخط الكوفي المزهر الذي كتب به الفاطميون، حيث كتب على ظهر السكة[11] قوله تعالى:«ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه»[12].

فعل المعز كل ذلك مخالفة للفاطميين وتحديا لهم وإمعانا في الخروج عن طاعتهم.

1- الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق،ص192.
2- ابن الأثير، المصدر السابق ،ص90.
3- ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص211.
4- ابن الأثير، المصدر السابق ،ص114.
5- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ،ص275.
6- أبو محمد عبد الله التجاني،رحلة التجاني، تح: حسن حسين عبد الوهاب،د ط،الدار العربية للكتاب،تونس،1981،ص19.
7- ابن الأثير ، المصدر السابق ،صص238,237.
8- ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص211.
9- تقي الدين المقريزي ،المصدر السابق ،ص67.
10- ابن عذارى المراكشي المصدر السابق،ص279.
11- صالح يوسف بن قربة ،المسكوكات المغربية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986،صص485،486
12- سورة آل عمران ،الآية85.

وتجنبا لإثارة أي بلبلة لم يصدر الخليفة الفاطمي في بداية الأمر أي رد فعل، لأن أوضاع الدولة الفاطمية لم تكن في حاجة إلى فتح جبهة على نفسها، بل أرسل الخليفة للمعز بن باديس الهدايا والخلع ولقبه شرف الدولة [1]. كأن لم يحدث شيء.

ولعل المعز قد استغل فترة الفتن الداخلية التي أنهكت القوة العسكرية للفاطميين، وفعلا لم يستطع هؤلاء أن يرسلوا إليه جنود منظمين لاستعادة نفوذهم بالمغرب[2]، ومما شجع المعز على مقاطعة الفاطميين كذلك سياسة خلفائهم العدوانية نحو أمراء بنو زيري وإثارة المنافسة بينهم وبين زناتة، وتدخل وزراء المستنصر، وسوء تصرفهم في معاملة المعز بن باديس، وغلوهم في التشيع وسبهم للصحابة بل تعدوا إلى أكثر من ذلك حين ادعوا الألوهية[3].

وقد رحب الخليفة العباسي القائم بأمر الله بقطع الخطبة في افريقية عن الفاطميين، إلا أنه لم يستطع أن يقدم للمعز بن باديس أي مساعدة أو قوة يدفع بها الخطر الزاحف، حتى الدعم السياسي لم يقدر على تقديمه للقيروان ضد خصمهم السياسي والمذهبي في القاهرة وذلك للمشاكل التي كانت تتخبط فيها دولة بني العباس[4].

وأصبح المعز بن باديس يتشدد في لغة خطابه لوزير الفاطميين اليازوري، فبعد أن كان يقول (عبدكم) أصبح يقول في خطاباته لليازوري (صنيعتكم) فجر ذلك عليه حقد الوزير والخليفة المستنصر[5]، وقد أشار اليازوري على الخليفة الفاطمي بإرسال القبائل العربية من صعيد مصر إلى افريقية[6].

وما يجب الإشارة إليه أن حماد بن بلكين أعلن نبذه لطاعة الفاطميين ودعا للعباسيين قبل المعز بسنوات.

1- الهادي روجي إدريس،المرجع السابق ،ص177.

2- أبو القاسم محمد كرو ،عصر القيروان ،ط2،دار طلاس،دمشق ،سوريا ،1989،ص29.

3- السيد عبد العزيز سالم ،المرجع السابق ،صص663،664.

4- محمد العروسي المطوي ،سيرة القيروان ،د ط،الدار العربية للكتاب ،تونس،1981،ص27.

5- أحمد بك النائب الأنصاري ,المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب, د ط مكتبة الفرجاني,طرابلس,ليبيا,د س ن ،ص103.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 19.

ويكاد يجمع الكتاب على أن عهد المعز بن باديس هو العصر الذهبي للدولة الصنهاجية على المستوى الحضاري والسياسي من حيث التطلع للاستقلال[1]، وربما عد هو المؤسس الحقيقي للدولة الزيرية بعد إعلان خلع طاعة الفاطميين[2]،ومنهم من يرى أن بلكين بن زيرى هو المؤسس الحقيقي للدولة لأن همه كان ضبط البلاد، وتكوين الشعور بالوحدة البربرية[3]، وأيّ كان هو المؤسس منهما لدولة بني زيري فإن ملك الصنهاجيين حسب وصف ابن خلدون كان أضخم ملك عرفه البربر بإفريقية وأترفه[3].

1- عبد الحميد سعد زغلول ،المرجع السابق ،ص442

2- عبد الهادي التازي ،التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،ج5،د ط ،دن ،المغرب،1987، ج 5 ص178.

3- عبد العزيز الثعالبي ،المرجع السابق،ص338.

4-ابن خلدون ،المصدر السابق ص210.

الفصل الثالث: انعكاسات خروج الزيريين عن طاعة الفاطميين

1. الانعكاسات السياسية.
2. الانعكاسات الفكرية المذهبية.
3. الانعكاسات الاجتماعية.
4. الانعكاسات الاقتصادية.

1- الانعكاسات السياسية

أ- الزحف الهلالي السلمي :

بدأ هذا الزحف حين أشار اليازوري على الخليفة المستنصر بإرسال قبائل بني هلال وبني سليم[1] للمغرب سنة 441 هـ/1049م، مع إغرائه لهم بدينار وبعير لكل واحد منهم ووعدهم بكل ما يفتحونه من المغرب[2]، وقد استحسن المستنصر هدا الرأي لأنه لا يكلف الخلافة الفاطمية كبير مشقة، بل على العكس ففيه خلاص من بني هلال وبني سليم المثيرين للفتن في مصر أو نهاية لبني زيري الخارجين عن الطاعة[3]، وحتى تتم الخطة بنجاح أرسل اليازوري أحد أعوانه للإصلاح ذات بين هده القبائل العربية وتحمل الديات، وفي الحين كتب اليازوري إلى المعز بن باديس : «أما بعد فقد أنفذنا الكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا»[4]، والواضح من خلال هدا الكتاب المرسل مدى تهديد ووعيد الفاطميين للزيريين، ووصف بجلاء قوة هؤلاء الأعراب وشدة بأسهم في الحروب.

ولم يكن إرسال بني هلال وسليم عفوا وإنما كانت وراءه مجموعة من الأسباب :

الجوع والجفاف الذي خيم على مصر في تلك الفترة، رغبة الخلافة الفاطمية في إخضاع المغرب لإمبراطورية عربية تابعة لهم بديلة عن دولة بربرية[5]، التخلص من القبائل العربية المثيرة لأعمال النهب والسلب لنفاد مؤونتها[6]، وجشع الملوك الفاطميين في جمع الأموال[7].

وهكذا زحفت هده القبائل العربية سنة 441 هـ/1049م والتي كان عدد أفرادها يناهز نصف مليون رجل[8]، ونرى أن هدا العدد مبالغ فيه ويحتمل أن يكون هو عددهم الإجمالي بما فيهم الأطفال والنساء والدين زحفوا على رحلات متتالية.

1- بنو هلال وبنو سليم من مضر، كانوا في البادية ثم نزحوا من نجد الى الحجاز، فنزل بنو سليم مما يلي المدينة النبوية، ونزل بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف، انظم قوم منهم الى القرامطة، فلما هزم الفاطميون القرامطة نقلهم العزيز بالله إلى صعيد مصر. ينظر: المقريزي، المصدر السابق، صص215،216 .

2- ابن خلدون،تار يخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص20.

3- صالح يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد،ط1، منشورات الحضارة، الجزائر،2009م،ص112.

4- ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص20.

5- عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى المغرب، دط، دار السبيل، الجزائر، 2008، ج1،ص71.

6- حسين خضيري أحمد، المرجع السابق ،ص262.

7- عبد الحميد بوسماحة، المرجع السابق، ص69.

8- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص24.

وبعد أن أجاز العرب النيل أول ما نزلوا برقة[1] فاقتحموها،و خربوا اجدابية و سرت[2]، ثم تقارعوا على البلاد فصار لسليم الشرق و لبني هلال الغرب،و استمر الهلاليون بجموعهم فوصلوا إلى القيروان سنة443هـ/1051م،وعاثوا فيها فسادًا، فاضطر المعز للاستعانة بصاحب القلعة و بزناته فأمده كل منهما بألف فارس، و سانده البدو من إفريقية وعرب الفتح فاجتمع له حوالي 30ألف فارس[3]،ومع بداية المعارك تحيز عرب الفتح إلى الهلاليين،و خانت زناته وبني حماد المعز[4]، وهنا تظهر أن العصبية القبلية عند العرب أشد من العصبية البربرية .

ولم يتحدد هدف الهلاليين بنزوحهم إلى إفريقية من اجل تقديم يد للمساعدة للفاطميين أو رغبة إسقاط دولة الزيريين،ولكن الهدف الحقيقي كان هدف الفاطميين في تقسيم الدولة البربرية إلى إمارات عربية موزعة على القبائل[5]، فسياسة الانتقام التي دأبت عليها الدولة الفاطمية بضرب القبائل البربرية ببعضها هي نفسها الآن التي تسلكها مع الزيرين انتقاما منهم[6]، ويورد ألفرد بل أن الهلاليين عكس أسلافهم العرب الفاتحين لم تكن لهم نية في نشر الدين ألإسلامي أوحتى إعادة المذهب الشيعي بقدر ما كان همهم المسكن الجديد والحياة الأرغد[7]،

وكانت معركة حيدران[8] التي وقعت بين المعز والقبائل العربية نقطة تحول حاسمة في إفريقية ،حيث انهزمت فيها جيوش المعز شر هزيمة[9]، والأكيد أن لهذه الهزيمة النكراء أسباب متعددة منها

شجاعة العرب و قدرتهم على خوض الحروب.

إظهار المعز نفوره من جنوده و إيثاره العبيد عليهم[10].

1- برقة مدينة وسطى لا بالكبيرة و لا بالصغيرة يحيط بها جبل من كل الجهات ،أرضها حمراء،أموالها جمة و هي أول منزل من مصر إلى القيروان ،ينظر:ابن حوقل،المصدر السابق ،ص69.

2- أحمد بك النائب الأنصاري،المرجع السابق ،ص 108.

3- ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون ،مصدر سابق ،ص20.

4- نفسه ،ص21.

5- عبد الحميد بو سماحة ،المرجع السابق ،ص 78.

6- مختار العبادي ، المرجع السابق ،ص324..

7- ألفرد بل ،المرجع السابق ،ص219.

8- موقع بين قابس و القيروان جرت فيه معركة شهيرة بين المعز بن باديس و القبائل العربية يوم عيد الأضحى 1052/443،ينظر:رشيد بو روبية المرجع السابق ،ص205.

9- عبد الحميد سعد زغلول ،المرجع السابق ،ص441.

10- رابح بونار ،المرجع السابق ،ص198.

تخاذل الصنهاجيين والزناتيين في نصرتهم للمعز، بل إنضم الكثير منهم للأعراب[1].
وقد كان لجهل الزيريين و الحماديين لنتائج الحملة الهلالية ،وعدم تقديرهم لقوة الهلاليين،بل كانوا مستخفين بهم كان لكل ذلك بالغ الأثر في إضعاف دولتي صنهاجة بشقيها .
خطأ بني زيري و بني حماد في مواجهة بني هلال ،و عدم دراسة حالتهم لأنه حسبما أوردته المصادر و المراجع أن الهلاليين لم يأتوا للإغارة و العودة بالغنيمة ،و إنما أتوا للاستقرار،فكان يكفيهم إقطاعهم أراضي واسعة و تجنب مواجهتهم للاستفادة منهم [2] .

ب ـ سقوط العاصمة القيروان:

بعد الهزائم المتتالية للمعز مع القبائل العربية علم أنه لا طاقة له بهم و هو عاجز عن حماية رعيته فغادر المعز عاصمته القيروان سنة449هـ /1058 م تحت حماية أصهاره[3] من العرب[4].
تحت ضغوط الهلاليين و ضعف قوة المعز، اضطر هذا الأخير للعودة إلى حظيرة الفاطميين من جديد ،و انفرد بهذا القول قلة من المؤرخين[5]،بل حتى المصادر لم تذكر مثل هذا الحدث.
نرى حتى و إن سلمنا جدلاً بهذا الأمر فما هو إلا تمويه لاستعادة الأنفاس و تهدئة الأوضاع حسب استقرائنا للأحداث التاريخية من مصادرها.
رغم هزم بني هلال للزيريين لم يعيدوا السلطة للفاطميين لذلك نجدهم لم يظهروا حقداً لصنهاجة[6].
دولة بني حماد نالها كذلك الزحف الهلالي إلا أن الأضرار كانت بها أقل ،و مدة الحرب لم تطل لأنها لم تكن المقصودة[7]،وقد استفاد الحماديون من دخول الهلاليين على منافسيهم الزيرين لكنهم في النهاية نفذوا إلى دولتهم[8].

1ـ محمد الطمار ،الروابط الثقافية ،مرجع سابق ص133.
2ـ صالح يوسف بن قربة ،تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بن حماد ،مرجع سابق ،ص41.
3ـ كان المعز صاهر العرب الهلاليين حيث زوج ابنتيه للفضل ابن أبي علي و فارس بن أبي الغيث ،ينظر:أبو عبد الله التجاني ،المصدر السابق ،ص329.
4ـ محمد الطمار ،الروابط الثقافية ،مرجع سابق ص134.
5ـ الذين قالوا بعودة المعز إلى طاعة الفاطميين اعتمادًا على قرائاتهم الاثرية ،إذا أن المعز ضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي من جديد بعدما اسقط اسمه من السكة ،ينظر: صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية ، مرجع سابق،ص495،أيضاً، الهادي روجي إدريس ،المرجع السابق ،ص269.
6ـ عبد الحميد بو سماحة ، المرجع السابق ،ص78.
7ـ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد(صفحة رائعة من تاريخ الجزائر) ،ط2 دار الصحوة ، دار الوفاء ،القاهرة، 1411هـ / 1991م،ص178.
8ـ عبد القادرجغلول ،المرجع السابق ،ص60.

تحولت الدولة الزيرية بسبب الغزو الهلالي إلى دولة بحرية تصوب أنظارها نحو صقلية و جنوب إيطاليا ،كذلك الحال مع أبناء عمومتهم بني حماد حين إنهزموا مع القبائل العربية في معركة ،سبيبة[1] 457هـ/1065 م، وتوجهوا نحو الواجهة البحرية بجاية[2]، التي اتخذها الناصر بن علناس سنة 461هـ/1069 م عاصمة جديدة لدولته بدل القلعة[3].

اقتنع الزيريون أخيراً أن بني هلال لم يأتوا للمغرب من أجل تأسيس مملكة منافسة لهم،وإنما جاؤا للإقامة الدائمة ، فضل الزيريون مع وجود الهلاليين يحكمون المهدية والحماديين يحكمون بجاية إلى حين[4].

و الحقيقة أن الزيريين و الحماديين معا قد فشلوا في تحقيق وحدة يواجهون بها القبائل العربية، و لم تكن المصاهرة بينهما إلا لتهدئة الأوضاع ، ولم يستشعرا أن التعاون بينهما يمثل ضرورة حتمية في مواجهة أعتى الأخطار (الهلاليين و الزناتيين و النورمان فيما بعد[5]).

دخول بني هلال الى افريقية مكنهم من التحالف مع البربر ضد بعضهم البعض ،لذلك نجد أن بني زيري تحالفوا مع قبائل رياح و زغبة و تحالف بنو حماد مع الأثبج[6] . استطاع بني هلال أن يفككوا روابط السلطة المركزية للدولة الزيرية[7]، و أنجر عن هذا التفكك تقطع أوصال الدولة ، و شمل الانفصال حتى مدنها الرئيسية فانفردت بها أسر مستقلة تتوارث فيها الحكم .

فصفاقس ملكها حمو بن مليل البرغواطي الذي تحالف مع العرب[8] ،و سوسة ملكها عبد الحق بن خراسان فصارت له و لبنيه من بعده أما قابس ألت لموسى بن يحي ثم ملكها المعز بن محمد الصنهاجي[9].

1- سبيبة قرية قريبة من الاربس على بعد مسيرة يوم من القيروان، وقعت فيها المعركة المذكورة ،ينظر: عبد الحميد سعد زغلول ، المرجع السابق ، ص454.

2- نفسه ،ص441.

3- شوقي ضيف ،المرجع السابق ،ص38.

4- العيد روسي محمد حسن ، المغرب العربي في العصر الإسلامي ، ط1، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2008،ص150.

5- عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، صص171،170.

6- محمد الطمار ، الروابط الثقافية للمغرب الأوسط ،مرجع سابق ،صص159 ،160 .

7- نفسه ،ص136.

8- عبد الحميد الخالدي ،الوجود الهلالي السليمي في الجزائر،دط،دار هومة،الجزائر،2007،ص178.

9- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق ،ص211.

ولنا أن نتصور عن أي دولة صنهاجية بربرية تركها المعز بن باديس لأبنائه من بعده، فلم يحتفظ بنو زيري إلا بالمهدية و بنو حماد ببجاية و المناطق الساحلية المحيطة بها فقط .

أمام ضيق حيز رقعة الدولة الزيرية اضطروا لأعمال القرصنة البحرية و مهاجمة السفن المسيحية[1]، وتمكن يحي بن تميم من تجهيز أسطول بحري دائم الإغارة على جزر الروم في البحر المتوسط[2]، وكان سعي بنو زيري من هذا التحول تعويض ما فقدوه في البر مما قد يجدوه في البحر ، ولكن هيهات فقد فتحت الدولة الزيرية جبهة بحرية على نفسها مع الفرنجة النورمان و تهيأت لهؤلاء الفرصة في أول عمل بالاستيلاء على صقلية التي كانت تابعة لافريقية[3]، وجعلت بنو زيري عرضة لغارات بحرية شرسة من الجنويين و النورمان[4]، وقد قاوم أمراء بنو زيري عن عاصمتهم المهدية مراراً ، لكن دون جدوى فقد جمع روجر الصقلي قائد النورمان أسطولا ضخما عجز الحسن بن علي الدفاع عن بلاده فسقطت المهدية[5] في يد النورمان سنة 543هـ/1148م.

وغادر الحسن بن علي آخر ملوك بنو زيري المهدية بعد أن سلمها إلى ملك الافرنج،وتوجه إلى أبناء عمومته الحماديين و هو يقول: (سلامة المسلمين أحبّ إليّ من الملك و القصر)[6]، وعلى حرص الحسن على سلامة قومه إلا أنه في الحقيقة قد خارت قواه و لم يعد في إمكانه الدفاع عن بلده .

وحاصل القول ان الدعوة الإسماعيلية قد قضى عليها نهائيا في بلاد المغرب ، لان الهلاليين الذين كانوا سببا في إضعاف الدولة الزيرية ثم سقوطها لم تفلح الدولة الفاطمية من خلالهم في إعادة المغرب لطاعتهم[7].

وهكذا بقيت المهدية 12 عاماً خاضعة لحكم النصارى إلى أن حررها عبد المؤمن بن علي يوم عاشوراء سنة 555هـ/1160 م وأعادها لحظيرة الإسلام و المسلمين[8]، و باستعادة المهدية أصبحت افريقية و سائر بلاد المغرب تحت سلطة الموحدين[9].

1- أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ،ص326.
2- محمد حسن العيد روسي ، المرجع السابق ،ص155.
3- الهادي التازي ، المرجع السابق ،ص178.
4- أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ،ص326.
5- عبد الرؤوف الفقي ، المرجع السابق ،ص188.
6- علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ،ج2 ص88.
7- حسن خضيري أحمد ، المرجع السابق ، ص73.
8- أبو عبد الله التجاني ، المصدر السابق ، ص349.
9- رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص308.

2- الانعكاسات الفكرية المذهبية

أ- محاربة الزيريين لمذهب الشيعة :

لم يكتف المعز بن باديس بإعلان القطيعة مع الفاطميين في مظهرها السياسي فقط ، بل تعدى الأمر إلى ملاحقة أتباع الشيعة و إعلان الحرب على مذهبهم[1]، و امتدت المجازر لتشمل كامل إفريقية انطلاقا من القيروان و المهدية ، حتى اضطرّ الكثير منهم الفرار إلى جبل أوراس ولاحقتهم الإبادة الجماعية إلى مدينة باغاية[2].

و الحق أن حماد بن بلكين كان الأسبق في الخروج عن الفاطميين في المغرب الأوسط بعدة سنوات ، و نبذ مذهب الشيعة و حاربه بشدة[3].

وعبرت المجازر المرتكبة ضد الشيعة عن رد فعل أهل السنة لما كانوا يعانونه من اضطهاد إبان الدولة الفاطمية خاصة بعد ما قوي مركزهم في عهد المعز[4]، وكان لشدة الدماء التي سالت أن دعا الفقيه التونسي أبي إسحاق إلى التفريق بين الروافض الذين لا ينكرون خلفاء الرسول، مستنكرا في دلك أسلوب التقتيل الجماعي، ومن بين الذين أعدموا الرقيق القيرواني[5] مؤرخ إفريقية الأول بأمر من المعز بن باديس[6].

ومرد كراهية أهل المغرب لمذهب الشيعة أنهم حملوا على اعتناقه دون اقتناع، وما كان أتباعهم للمهدي إلا أنهم رأوا فيه خلاصا من معاناتهم، فلما تبين لهم زيف الشيعة قاموا عليهم بالثورات[7]، ولما خلا جو بلاد المغرب من الشيعة أو كاد تنفس اهل المغرب الصعداء، وتتبعوا من بقي منهم بالقتل[8].

ودلت جميع هذه الأحداث سالفة الذكر عن مدى بغض أهل المغرب لفكر الروافض وعدم رضاهم بالخضوع لسلطانهم السياسي والمذهبي.

1- أبو القاسم محمد كرو ، المرجع السابق ،ص22.

2- علاوة عمارة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي ،د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2008، ص134.

3- ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،مصدر سابق ،ص171.

4- أبو القاسم محمد كرو ، المرجع السابق ،ص24.

5- هو أبو إسحاق المعروف بالرقيق القيرواني ، شغل منصب رئيس ديون الإنشاء في عهد الدولة الزيرية ،له كتاب تاريخ افريقية و القيروان (ت 418 هـ/ 1028 م) ،ينظر:الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق،ص 14 .

6-علاوة عمارة، المرجع السابق،ص 132 .

7-عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق،صص 75،76 .

8-حسن محمد جوهر ،شعوب العالم تونس ،دط،دار المعارف،القاهرة،1961 ،ص 41 .

ب- عودة انتشار المذهب السني المالكي :

وسعى المعزبن باديس منذ انفصاله عن الشيعة الفاطيميين إلى تحميل الناس على اعتناق المذهب المالكي هادفا بذلك إلى الانفصال الروحي والمذهبي عن الخلافة الفاطمية بمصر[1].

وكان للشعور الذي يحمله سكان افريقية نحو المذهب المالكي أن وجدوا أنفسهم بمجرد إعلان الخروج عن الفاطميين متجهين نحو مذهب مالك نابذين مذهب الشيعة، خاصة أهل القيروان[2].

وتعدى تعلق أهل المغرب بالمذهب المالكي إلى تجاوز المذهب الحنفي السني الذي كان يتواجد وقتها بافريقية إلى جانب المذهب المالكي[3] ، لان المعز بن باديس قد حسم مادة الخلاف المذهبي حينها بإتباع مذهب مالك[4].

والحقيقة أن المذهب المالكي كان أقرب المذاهب إلى قلوب السكان[5]، وما كان فعل المعز إلا دعما لميل أهل افريقية والمغرب عامة.

و قد عادت بذلك النوافل التي قطعها الفاطميون، كصلاة القيام التي كانت أشد النوافل على الفاطميين، وأحيوا صلاة الضحى جهارا حيث لم تكن تصلى إلا خفية، وقطعوا من الأذان حي على خير العمل[6].

وكانت صلاة الجمعة قد تعطلت ردحا من الزمن بعد أن قاطعها أهل السنة، حتى ادا جاء المعز عادت الجمعة فكان لأهل القيروان سرور كبير[7].

1- أحمد مختار العبادي،المرجع السابق، ص322 .
2- ألفردبل، المرجع السابق، ص202.
3- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، مرجع سابق، ص196.
4- عبد العزيز المجذوب، المرجع السابق، ص224 .
5- ألفردبل، المرجع السابق، ص205.
6- أبو عبد الله التجاني، المصدر السابق ، ص266.
7- ابن عذاري المراكش، المصدر السابق ج1، ص277.

ولا يجب أن ننكر دور فقهاء المالكية في أحداث وتفعيل القطيعة السياسية والمذهبية مع القاهرة من خلال نشاطاتهم وتأليفاتهم منهم على وجه الخصوص الفقيه ابن أبي زيد القيرواني[1] الذي اعتبر الناشر الحقيقي لأفكار المالكية في افريقية والمغرب، ورسالته الشهيرة أعطت حركة مميزة في مواجهة التشيع[2]، ومثل نشاطهم عامل من الجمع عوامل انتصار المذهب المالكي نهائيا بافريقية[3]، كما أن المالكيين أقروا قراءة ورش عن نافع[4].

وبموت المعز بن باديس 454 هـ/1062 م ، اتجهت أنظار أهل افريقية إلى دولة بني حماد، وبايعوا الناصر بن علناس سنة 460 هـ/1068[5]، وما نرى هده المبايعة إلا لظرف مؤقت لأن دولة بن زيري حينها لا زالت قائمة، ولكن ونظرا لما نال القيروان من التدمير والتخريب وقتل الكثير من علمائها اضطر الناجون منهم إلى الفرار[6]، وتفرق أهل القيروان في كل حدب فمنهم من قصد مصر و صقلية ومن اتجه نحو الأندلس، وطائفة منهم نزلوا بفاس فعقبهم إلى اليوم[7].

1- هو عبد الله أبو محمد بن أبي زيد، ساكن القيروان وامام المالكية، وجامع مذهب مالك، وقد لخص المذهب وذب عنه، وملأ البلاد بتآليفه، منها: كتاب الاقتداء بأهل المدينة، الذب عن مذهب مالك...إلخ، وكان يعرف بمالك الصغير(ت386هـ/996م) ينظر: يحيى هويدي، المرجع السابق، ص177،178.

2- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص133،134 .

3- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج2،ص320.

4- نفسه، ص332.

5- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص67.

6- أبو القاسم محمد كرو، المرجع السابق، ص21.

7- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص259.

3 – الانعكاسات الاجتماعية :

أ- استيطان القبائل العربية بالمغرب ومساهمتهم في التعريب :

إن الحديث عن استيطان قبائل بني هلال وبني سليم واستقلالهم بربوع المغرب ومساهمتهم في تعريب سكانه، لم يكن وليد العام أو العامين، بل هو نتيجة الهجرات المتتالية والأعوام المتوالية.

لأن العرب لما خرجوا من مصر حملوا معهم أسرهم ولم يدعوهم للعودة شيء، لأنهم أصلا لم يتركوا شيئا وراءهم يعودون إليه، لهدا لم يفكروا إلا في الاستيطان ببلاد المغرب[1]، لأنه معلوم أن مسيرة القبائل العربية بدأت بدخولهم إلى برقة فاستوطنها بنو سليم وأحلافهم رواحة وناصرة وغمرة، واتجهت قبائل دياب وعوف وجميع بطون بنو هلال إلى افريقية، سنة 443 هـ/1051 م[2]، وأول من وصلها مؤنس بني يحيى المرداسي، فإذن المعز لمؤنس ومن معه من قومه بدخول القيروان، لكنه أبى وقال للمعز إنهم قوم لا طاقة لك بهم[3]، لكن المعز أصر على رأيه وأباح للعرب بدخول القيروان سنة 444 هـ/1052م لما يحتاجونه، ضنا منهم أنهم سيغادرونها، لكن هيهات فقد سكنوها وطرد منها هو[4]، وسبب دلك استصغاره للعرب من جهة وعدم أخذه برأي مؤنس بن رياح لأنه أدرى بقومه.

فأحاطت زغبة ورياح بالقيروان فسيطروا عليها وعلى عموم افريقية[5]، فلم يبق للمعز من موطن إلا المهدية وما جوارها[6]، ثم زحف للغرب رياح وزغبة والمعقل وجشم وقره والأثبج والخلط و سفيان[7]، حيث دخلت بطون بني هلال للمغرب الأوسط من ثلاث جهات، جهة الساحل حيث يقل نفوذ صنهاجة، وجهة الهضاب حيث حاصروا المسيلة والقلعة ومن جهة الصحراء أين تعيش زناتة[8].

وارتفع بذلك عدد العرب و حاصروا البربر في مواطنهم ، مما اضطر هؤلاء إلى مغادر أوطانهم والهجرة منها[9]، ولم يكن العرب إلا أقلية قبل قدوم بني هلال[10] .

-

1- ألفرد بل، المرجع السابق، ص213.
2- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون مصدر سابق ،ص20.
3- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص157.
4- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص293.
5- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص21.
6- عصام عبد الرؤوف الفقي،المرجع السابق، صص186،187.
7- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص22.
8- صالح يوسف بن قربة ، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد ، مرجع سابق، ص41،42.
9- حسن محمد جوهر، المرجع السابق، ص43.
10- عبد الحميد الخالدي، المرجع السابق، ص194،195.

والجدير بالذكر أن التواجد العربي في منطقة المغرب، كان سابقا للغزو الهلالي ،إذ كان حضور العرب مع أفواج الفتح الإسلامي الأولى.
وللقبائل العربية الوافدة للمنطقة دور لا ينكر في المساهمة في التعريب و التخفيف من حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية. وبحكم الجوار اتصل البربر بالقبائل العربية، فأخذوا عنهم لغتهم بل حتى عاداتهم، فاستعرب كثير منهم وزادت العربية انتشارا بالمصاهرة والاحتكاك وكاد ينحصر التخاطب بالبربرية على سكان الجبال[1].
والملاحظ أن البوادي والأرياف كانت أسرع تعريبا من المدن[2]، وهدا راجع أن سكان البوادي من البربر كانت حياتهم أشبه بحياة العرب، مما سهل عملية الامتزاج بينهما في التواصل اللغوي.
ورغم وصف الهادي روجي إدريس الغزو الهلالي بالكارثة إلا أنه يعترف بفضلهم في عملية التعريب[3] .
و المؤكد أن عملية التعريب و التي استمرت لسنوات كانت بطريقة عفوية ،لأن الهلاليين لم يفتحوا مدارس لتعليم العربية أو تدريسها .

ب- اندماج بنو هلال في المجتمع المغربي :

لقد سمح التواجد الهلالي بالمغرب واستقرارهم به إلى عملية الاندماج في المجتمع الذي سيتعايشون معه لا محالة، لأن أرض المغرب أصبحت وطنهم المنشود الذي لن يرحلوا منه .
ومن ذلك أنه بعد تخريبهم لكثير من معالم افريقية، إلا أن دورهم كان بارزا في الدفاع عنها ومدن الساحل ضد الغارات الصليبية القادمة من المدن الايطالية والنورمان[4]، بعد أن استعملهم بنو زيري و بنو حماد في حروبهم ضد الفرنجة ، ودورهم لا ينكر في الدفاع عن المغرب والأندلس فيما بعد[5].
ودخول عناصر جديدة بدوية في هيكل المجتمع المغربي كان لها تأثير بخصائصها العقلية والخلقية حيث كان العرب وبحكم طبيعتهم البدوية يكرهون الانضواء تحت حكومات مركزية و يميلون إلى التحرر من كل ما يقيد حريتهم ويحد منها.

1- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، المرجع السابق، ص118.
2- محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق، ص51.
3- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج2، ص387.
4- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص262.
5- نفسه ،ص264.

وأدخل الهلاليون أسلوب حياة جديدة، وعادات غير مألوفة لدى البربر من ذلك الخيمة، فقد كان عامة البربر يسكنون بالمداشر وكهوف الجبال[1]، ولعل الذي نسب هدا الكلام اختلط عليه التفريق بين سكان البربر البرانس والبتر، فادا كانت تلك حياة البرانس فان البتر كما هو معلوم حياتهم أشبه بحياة العرب فهم لم يتخلوا عن الخيمة في حلهم وترحالهم فهي ليست غريبة عليهم.

وبدأ العرب من جانبهم ومع مرور السنين يتأثرون بمظاهر الحضارة العمرانية، بل وانتقل بعض زعمائهم من سكنى الخيام إلى سكنى القصور وحياة الرفاهية، واتخذوا من الخيول العربية الأصيلة مركبا ومطية بدل الجمال[2]، كيف يكون ذلك والعرب معروفين أنهم هم أهل الفروسية والتفاخر بالخيل، و يبرز هنا أن عملية التأثير انتقلت إلى التأثر، و لكن من خلال تتبع المصادر و المراجع أن الهلاليين أثروا أكثر مما تأثروا.

4 - الانعكاسات الاقتصادية :

إن تأثير بني هلال في حياة المغاربة لم يقتصر على الجانب السياسي والفكري والاجتماعي فقط، بل تعدى ليشمل حتى الجانب الاقتصادي، وما حمله من تغيرات جذرية في الحياة الاقتصادية لأهل المغرب.

وللتدليل على ذلك نورد كمثال ما ذكره ابن عذارى المراكشي حين دخول بني هلال إلى افريقية أن ما ذبح من البقر في القيروان في اليوم الواحد سبعمائة وخمسين رأسا[3]، وإن بدا هذا الرقم مبالغ فيه إلا أنه دل على كثرة ما دخل من العرب إلى القيروان، وعلى رخاء هذه المدينة وازدهار ثروتها الحيوانية، فتردت بذلك أحوال افريقية بين غلاء الأسعار والمجاعات أحيانا وصلاح الأحوال حينا آخر[4].

وبمجرد وصول الهلاليين إلى المغرب وضعوا أيديهم على الطرق التجارية الهامة التي كانت تربط إفريقيا جنوب الصحراء بالمغرب بل انقطعت غالب الأحيان لكنهم في المقابل ساهموا في تنشيط التجارة الداخلية بين التل والصحراء[5]، وقاموا بها أحسن قيام بل ووسعوا نطاقها[6].

1- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص265.
2- عبد الحميد مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص249.
3- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص294.
4- نفسه ، ص302.
5- صالح بن يوسف قربة، تاريخ مدينتي المسيلة والقلعة، المرجع السابق، ص43.
6- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص684.

أثر الزحف الهلالي بعرقلة بل تعطيل تزويد افريقية بالذهب الخام الوارد أساسا من السودان عبر الصحراء، فتأثرت العملة وكثر الغلاء[1]، وفي مقابل ذلك استعملت الحكومات البربرية القبائل العربية كقوة تستعملها عند الحاجة، واعتمدت عليهم في جمع الضرائب، أقطعتهم لأجل ذلك الأراضي، لأن العرب لم يكونوا ليطمعوا في السلطة أو يطالبوا بها، بل همهم حفاظهم على حياتهم البدوية ما استطاعوا[2].

ومعلوم أن حياة القبائل العربية قائمة على الترحال فقد ساهموا في تربية الحيوانات، مما أدى الى تقلص الحياة الحضرية واقتصار حياة الاستقرار في مناطق مخصوصة مثل تونس وقابس[3]، وحين اضطرت السلطة الزيرية للهجرة، استحوذ الهلاليون على كل الأرياف وسكنوها وفرضوا على كل مدينة غرامات باهظة[4].

لكنهم وبفعل اهتمامهم بالتجارة الداخلية حسنوا مستوى عيش سكان البوادي والأرياف[5].

وتحول الاقتصاد المغربي في أبرز مظاهره بفعل نشاط بني هلال من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد رعوي[6].

تجدر الإشارة ونحن بصدد دراسة انعكاسات الغزو الهلالي، أن ما شهده المغرب وافريقية خاصة من تحطيم العمران وتخريب البلاد هي كتابات المستشرقين الذين نقلوا عن ابن خلدون ، حيث ركزوا على النتائج السلبية للهلاليين واعتبروهم عنصر تخريب فحسب، وهذا الطرح تنبته كثير من الدراسات دون تحليل وتحقيق[7]، ولا يمكن للباحث بحال أن يقبل بهذه النظرة الجازمة المثقلة بالمفترضات الأيديولوجية أن سقوط افريقية راجع في الأساس إلى بني هلال وحدهم.

1- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص150.
2- صالح بن يوسف قربة، تاريخ مدينتي المسيلة والقلعة، المرجع السابق، ص44.
3- محمد الهادي الشريف، المصدر السابق، ص50.
4- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص259.
5- محمد الهادي الشريف، المرجع نفسه، ص51.
6- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص18.
7- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص12،13.

وهذا خطأ جسيم، إذ أن سقوط القيروان يعود في جزء كبير منه إلى عوامل داخلية أصلا، جعلت من بلاد افريقية ميدانيا مهتزا قابلا للتفكك بسبب الأزمات التي ألمت به، منها الأزمة العقائدية المتمثلة في مقتلة الشيعة، والأزمة السياسية من خلال انقسام الصنهاجيين الى قسمين (بنو زيري وبنو حماد)[1] وكثرة حروبها مع زناتة، وسيطرة الحكومات على التجارة البحرية والصحراوية وثقل الضرائب الملقاة على عاتق السكان من طرف الفاطميين ومن بعدهم الزيريين[2]، إضافة إلى أن صنهاجة لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وتسخيرهم لخدمتها بل جرأتهم عليها[3]،لذلك لم يكن الهلاليين هم المسؤولين الوحيدين على تدهور أحوال افريقية.

ونحن لا ننكر مدى الخراب الذي لحق بالقيروان وافريقية جراء دخول بني هلال، لكن في الوقت ذاته لا يجب أن نتماشى مع الطرح الاستشراقي لارتباط هذا الأخير بالمغرب احتلالا وتاريخا[4].

و يعود سبب اختلاف المؤرخين في شأن بني هلال و تأثيرهم سلبا و إيجابا أن بني هلال لم تتح لهم الفرصة ليكتبوا على أنفسهم بقدر ما كان همهم حفاظهم على بدواتهم واعتدادهم بأنسابهم وتفاخرهم في أشعارهم ببطولاتهم، التي سجلتها واحتفظت بها السيرة الهلالية[5].

1- محمد الهادي الشريف، المصدر السابق، ص49.

2- علاوة عمارة، المرجع نفسه، ص28.

3- محمد مبارك المليلي، المرجع السابق، ص680.

4- علاوة عمارة، المرجع نفسه، ص26

5- السيرة الهلالية هي مجموعة الوقائع و الأحداث التاريخية التي تحمل أخبار بني هلال ،و قد دونوها في أشعارهم وحكاياتهم المتوارثة عبر الأجيال ،و هي توافق التاريخ في بعض خطواته لكنها ممزوجة بالأسطورة و الخيال ،ينظر: عبد الحميد الخالدي ، المرجع السابق، ص204.

الخـاتمة

أخيرا ومن خلال الدراسة التي توصلنا إليها في موضوعنا خلصنا إلى النتائج التالية :

- إن بلاد المغرب الإسلامي بطبيعتها الجغرافية وبعدها عن مركز الخلافة شكلت مستقرا آمنا لبعض الدول ذات المذاهب المختلفة .

- المساهمة الفعالة للعصبية القبلية لقبيلة كتامة ودورها في إقامة الدولة الفاطمية .

- لم يجد الفاطميون أفضل من الصنهاجيين لاستخلافهم على بلاد المغرب نظير ما قدموه من خدمات جليلة لهم لأن قبيلة كتامة آل أمرها إلى الضعف والتفكك .

- انحسار المد الشيعي وعودة انتشار المذهب المالكي السني .

- الدمار الذي لحق بالمغرب جراء الزحف الهلالي ألسليمي وتأثيره على الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

- تمكن الهلاليين من إسقاط القيروان عاصمة الزيريين والقلعة عاصمة الحماديين إلا أن الدولة الصنهاجية بقيت قائمة إلى حين .

- رغم أن بني هلال ساهموا في تخريب بلاد المغرب ، إلا أن دورهم لا ينكر في تعريب المنطقة .

الملاحق

الملحق رقم 01 :

الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي قبل تأسيس الدولة الفاطمية

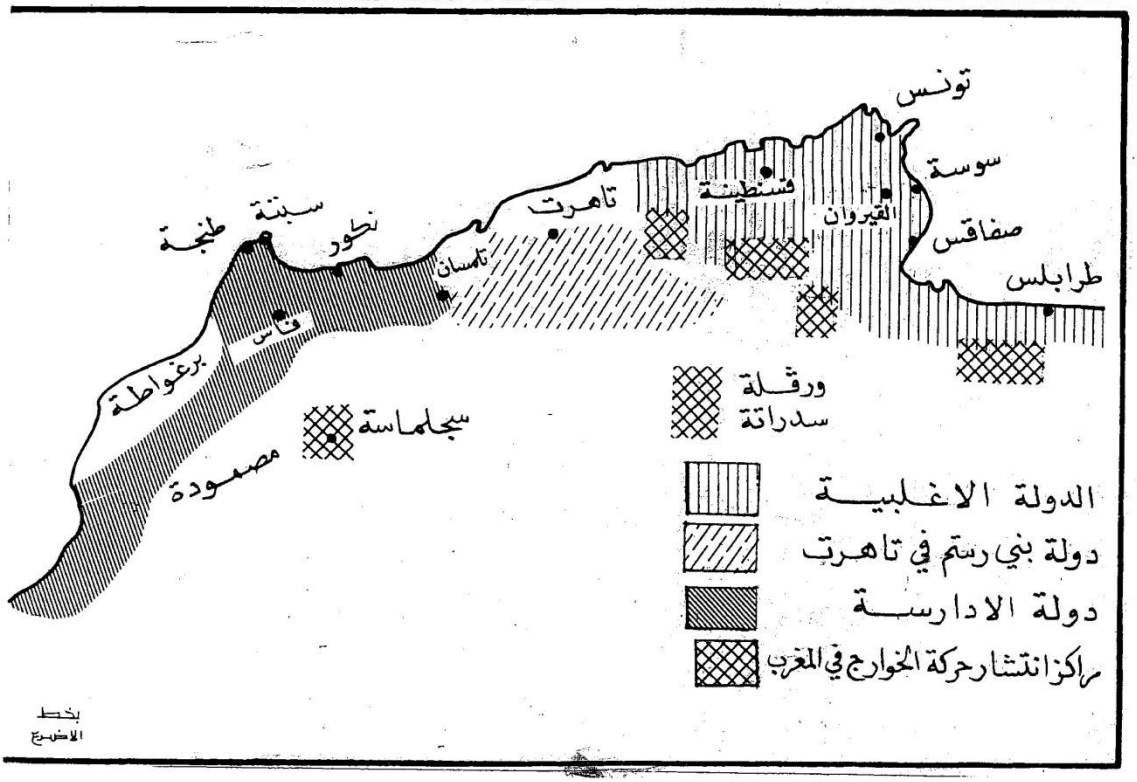

أبو عبد الله محمد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 69.

الملحق رقم 02 :

ملخص حوادث الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي

جدول ملخص الحوادث الواقعة في مدة الدولة العبيدية

(من سنة 297 إلى سنة 362هـ)

اسماء الخلفاء	تاريخ الولاية	أهم الوادث
عبيد الله المهدي	297 ـ 322	تأسيس خلافة فاطمية بافريقية ـ قتل أبي عبد الله الداعي ـ بناء مدينة المهدية : سنة 305 ـ محاولة الاستيلاء على مصر ـ
القائم بأمر الله	322 ـ 334	الاعتناء بالأسطول ـ غزوات البحر والاستيلاء على جزيرتي كرسكا وسردانية ـ ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي .
اسماعيل المنصور	334 ـ 341	مقاومة أبي يزيد الثائر والانتصار عليه ـ إنشاء مدينة صبرة أوالمنصورية قرب القيروان .
المعز لدين الله	341 ـ 362	الاستيلاء على المغرب الأقصى ـ امتلاك جوهر القائد الفاطمي لمصر وتأسيس مدينة القاهرة : سنة 358 انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر.

أبو عبد الله محمد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 91.

الملحق رقم 03 :

دينار الاستقلال للأمير المعز بن باديس الصنهاجي

www.qadeem.com/vb/attachment.php 2013-05-29 (08 :33)

الملحق رقم 04 :

النزوح الهلالي السليمي على المغرب الإسلامي

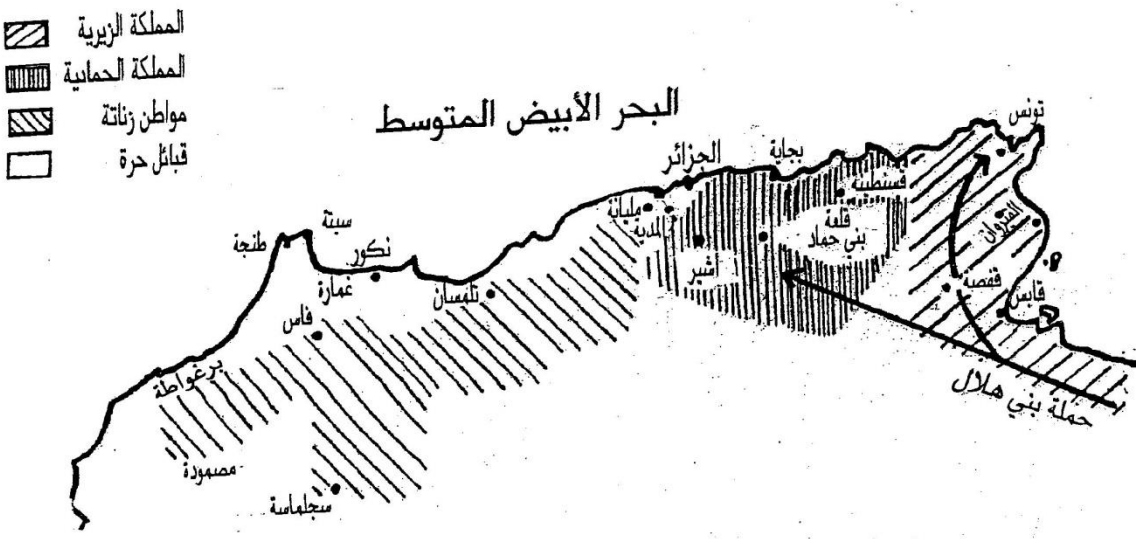

عبد الرحمان محمد الجيلاني، المرجع السابق، ص 360.

الملحق رقم 05 :

النزوح الهلالي على المغرب الأوسط (دولة بني حماد)

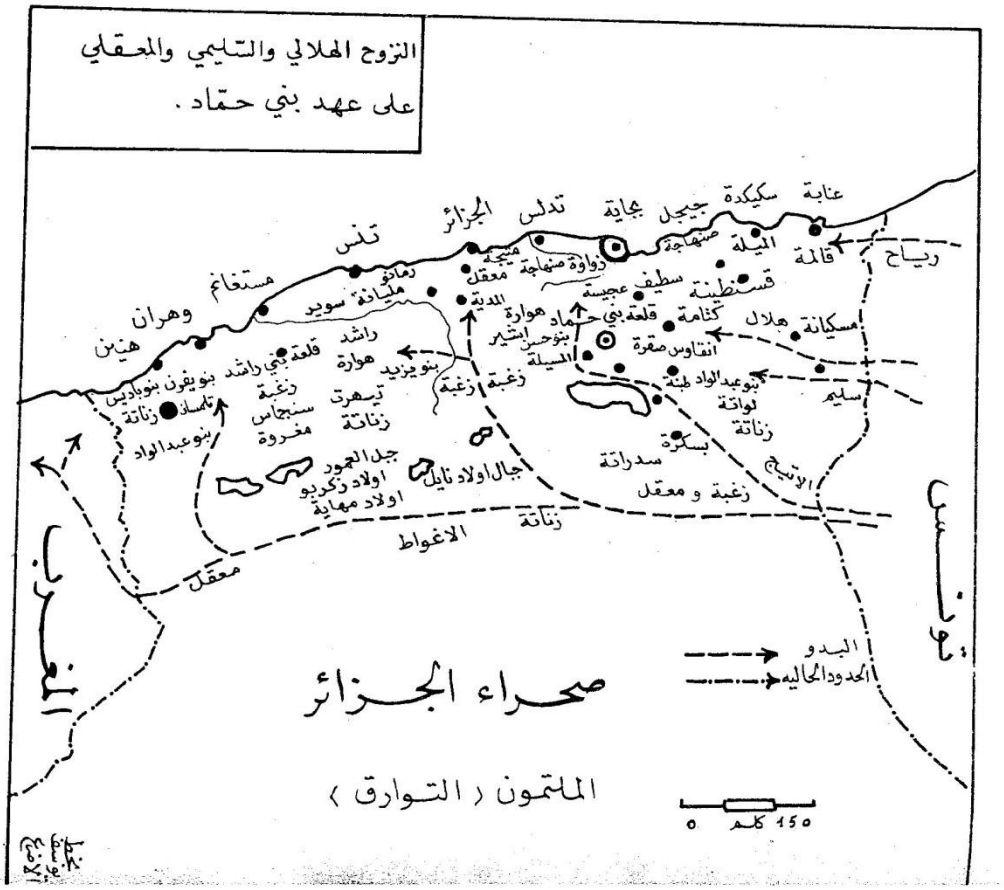

محمد الطمار، الروابط الثقافية للجزائر، مرجع السابق، ص 135.

ملحق رقم 06

توزع قبائل بنو هلال وبنو سليم في المغرب الإسلامي بعد الزحف

www.qadeem.com/vb/attachment.php 2013-05-29 (08 :30)

الملحق رقم 07 :

أهم أحداث الدولة الزيرية

تاريخ الحوادث	أهم الأحادث وأبرزها
361هـ–972م	تولية الأمير بلكين على المغرب العربي.
363هـ–974م	زحف بلكين على المغرب الأوسط–الجزائر.
369هـ–980م	القضاء على ثورة زناتة.
373هـ–984م	وفاة بلكين وولاية ابنه المنصور.
378هـ–989م	القضاء على ثورة أبي الفهم الكتامي وقتله.
379هـ–989م	خيبة أبي البهار في ثورته بتاهرت وولاية يطوفت عليها وحماد على آشير.
380هـ–990م	استئصال كتامة.
381هـ–991م	انتصار زيري بن عطية على الجزائر وبثه للدعوة الأموية.
384هـ–994م	إنشاء مدينة وجدة.
386هـ–996م	وفاة المنصور وولاية ولده باديس.
389هـ–999م	سقوط أعمال تيهرت وتلمسان بيد الحاجب الأموي.
395هـ–1005م	استئصال زناتة على يد حماد.
400هـ–1009م	تأسيس مدينة القلعة الحمادية.
407هـ–1017م	اختلاف حماد على باديس ووفاة الأمير وولاية ابنه المعز.
429هـ–1038م	رد هجمات زناتة.
432هـ–1041م	حصار القلعة والإفراج عنها –بعد سنتين– وانفصال مملكة الجزائر عن ولاية أفريقية.
435هـ–1043م	رفض الدعوة الشيعية والتمسك بمذهب الإمام مالك.
442هـ–1051م	الزحف الهلالي.

عبد الرحمان محمد الجيلاني، المصدر السابق، ص 356.

الملحق رقم 08

شجرة نسب الأمراء الصنهاجيين

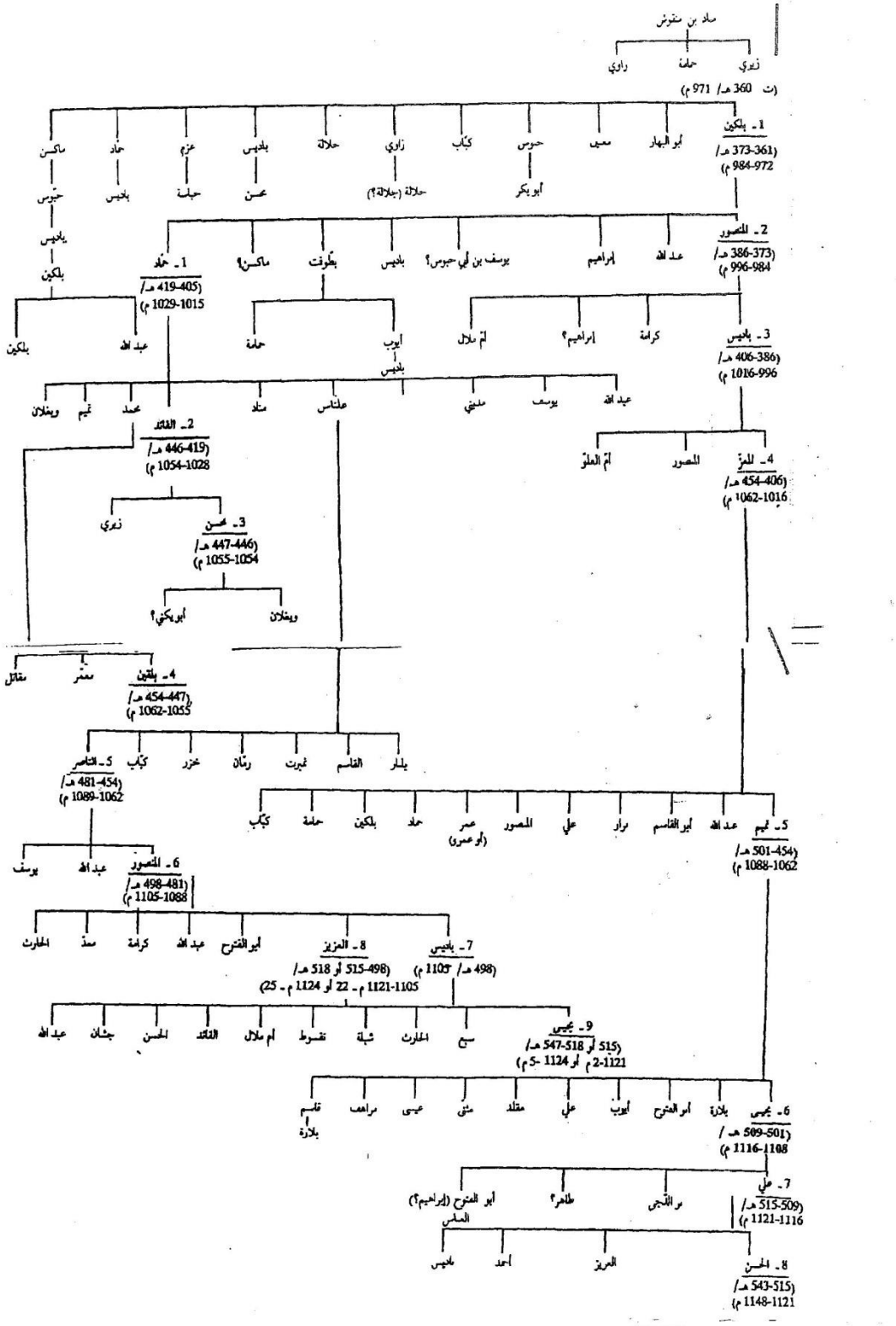

الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ج2 ص ص 452-453.

الملحق رقم 09 :

الأمراء الصنهاجيين

بنو زيري

1 ـ بلكين بن زيري بن مناد (361-373 هـ / 972-984 م) .
2 ـ المنصور بن بلكين (373-386 هـ / 984-996 م) .
3 ـ باديس بن المنصور (386-406 هـ / 996-1016 م) .
4 ـ المعزّ بن باديس (406-454 هـ / 1016-1062 م) .
5 ـ تميم بن المعزّ (454-501 هـ / 1062-1108 م) .
6 ـ يحيى بن تميم (501-509 هـ / 1108-1116 م) .
7 ـ علي بني يحيى (509-515 هـ / 1116-1121 م) .
8 ـ الحسن بن علي (515-543 هـ / 1121(1148 م) .

بنو حمّاد

1 ـ حمّاد بن بلكين بن زيري (405-419 هـ / 1015-1029 م) .
2 ـ القائد بن حمّاد (419-446 هـ / 1028-1054 م) .
3 ـ محسن بن القائد (446-447 هـ / 1054-1055 م) .
4 ـ بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين (447-454 هـ / 1055-1062 م) .
5 ـ الناصر بن علنّاس بن حماد بن بلكين (454-481 هـ / 1062-1089 م) .
6 ـ المنصور بن الناصر (481-498 هـ / 1088-1105 م) .
7 ـ باديس بن المنصور (498 هـ / 1105 م) .
8 ـ العزيز بن منصور (498-515 أو 518 هـ / 1105-1121 م ـ 2 أو 1124 م ـ 25) .
9 ـ يحيى بن العزيز (515 أو 518-547 هـ / 1121 م ـ 2 أو 1124 م ـ 25 ـ 1125 م) .

الهادي روجي إدريس، المصدر السابق، ج2، ص 454.

قـائمـة

المصـادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1- القرآن الكريم برواية ورش .

2- صحيح مسلم .

أولا: المصادر

3- ابن أبي دينار أبو عبد الله بن أبي القاسم الراعيني، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ،ط $_1$، مطبعة الدار التونسية ، تونس ، 1286 هـ .

4- ابن أبي زرع الفاسي على بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، د ط ، صور للطباعة ، الرباط ، 1972

5- ابن الآبار أبي عبد الله محمد القضاعي ، الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، ط2 ،دار العارف ، القاهرة ،1985 .

6- ابن الأثير محمد بن عبد الكريم الجذري ، الكامل في التاريخ ، تح : أبي الفداء القاضي ، ط $_1$ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407 هـ / 1987 م ، مج $_7$.

7- ابن بلكين عبد الله ، مذكرات الأمير عبد الله(التبيان) ، تح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، دس ن .

8 – ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، د ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 .

9- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد الغرناطي ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح ، محمد عبد الله عنان ، ط $_2$ ، مكتبة الخافجي ، القاهرة ، 1993 ه / 1973 م .

10- ـــ ، ـــ ، رقم الحلل في نظم الدول، د ط ، المطبعة العمومية ، تونس ، 1216 هـ .

11- ابن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح : خليل شحاذة ، مر : سهيل زكار . د ط ، دار الفكر ، بيروت ، 1421 ه /2000 م .

12- ـــ ، ـــ ، المقدمة ،تح : خليل شحاذة ، مر : سهيل زكار ، د ط ، دار الفكر ، بيروت ، 1421 ه / 2000 م .

13- ابن خلكان شمس الدين أحمد بن إبراهيم ، وفيات الأعيان انباءأبناء أهل الزمان ، تح : إحسان عباس ، د ط ، دار صادر ، بيروت ، دس ن .

14- ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح : كولان ، ليفي بروفنسال ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 م .

15- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن على ، تقويم البلدان ، تح :زيتود ، كوكين ديسلان ، دظ ، دار صادر ، بيروت ، د س ن .

16- البغدادي أبو منصور ، الفرق بين الفرق ، تح : محمد عثمان الخشب ، د ط ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، دس ن .

17- البكري أبو عبيد الله محمد ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، د ط دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، د س ن .

18- التجاني أبو محمد عبد الله ، رحلة التجاني ، تح : حسن حسين عبد الوهاب ،د ط ، الدار العربية للكتاب ، تونس ،1981.

19- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافيا ، تح : محمد حاج صادق ، دط ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ،د س ن .

20- الشهر ستاني محمد بن عبد الكريم، الملل و النحل، تح : أبي محمد بن فريد ،د ط ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،د س ن .

21- عماد الدين إدريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح : محمد اليعلاوي ، ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1985.

22- الصنهاجي أبو عبد الله محمد،أخبار ملوك بني عبيدو سيرتهم ، تح : جلول أحمد البدوي، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984 .

23- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ،تح : بشير البكوش ، مر : محمد العروسي المطوي ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1414هـ/1994م.

24- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص ، أخبار المغرب ، د ط مطبع بريل ، ليدن المحروسة ،1881.

25- المقريزي تقي الدين أحمد بن على ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح : جمال الدين الشيال ، د ط ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1996.

26- مؤلف مجهول ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب تح : يوسف الهادي ، ط1، الدار الثقافة للنشر ، القاهرة ، 1419هـ/1999م

27- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ،ط1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، المغرب ، 2005.

28- النعمان أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي ، افتتاح الدعوة . دط ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 2005.

29- الوزان حسن بن محمد ، وصف إفريقيا ، تر : محمد حجي و محمد الأخضر ، ط$_2$ دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 .

ثانيا : المراجع.

30- إبراهيم حسن وأحمد شرف حسن طه، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د س ن.

31- إبن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، ط$_1$، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986.

32- ابن قربة صالح يوسف، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ط$_1$، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

33- ـــــــــ ، ـــــــــ ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.

34- ابن يوسف سليمان داود،حلقات من تاريخ المغرب الاسلامي، د ط، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993.

35- أحمد حسن خضيري، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط$_1$، مكتبة مدبولي، د س ن.

36- إدريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م)، تر: حمادي الساحلي، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

37- إسماعيل محمود، الخوارج في المغرب الإسلامي، د ط، دار العودة، بيروت، 1976م.

38- آل كاشف غطاء الرأس آمال، دور العصبية القبلية واثرها في المجتمع العربي، (د ط)، د د ن، د س ن.

39- أمين أحمد، ضحى الإسلام، د ط، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1997.

40- برنشيفيك روبار ، تاريخ افريقيا العهد الحفصي ، ط1 تر : حماد الساحلي دار الغرب الإسلامي 1988 .

41 - بل ألفريد ، الفرق الأسلامية في الشمال الأفريقي، تر : عبد الرحمان بدوي، ط2 . دار الغرب الأسلامي ،بيروت ،1981

42 - بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ ، تر: محمد بلقراد، د ط . المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984.

43 - بوسماحة عبد الحميد، رحلة بني هلال إلى الغرب و خصائصها التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية ، د ط ، دار السبيل ، الجزائر،2008.

44- بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ،د ط ، الشركة الوطنية للشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968.

45- التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،د ط ، د دن ، المغرب ، 1987

46- الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية ، تح : احمد بن ميلاد ومحمد ادريس . ط2 ، دار الغرب الأسلامي ،بيروت، 1992.

47 - الجريسي خالد عبد الرحمان ، العصبية القبلية من المنظور الاسلامي ، ط1 ،(د د ط) ، الرياض ، السعودية ، د س ن .

48 - جغلول عبد القادر ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط ، تر : فضيلة الحكيم ، ط1، دار الحداثة ، بيروت،1982.

49 - جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية ،د ط ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1411هـ/ 1991م.

50- جوهر حسين محمد،شعوب العالم (تونس) ، د ط ، دار المعارف ، القاهرة ،1961

51- جوليان شارل اندري ،تاريخ افريقيا الشمالية ،تر:محمد مزالي و البشير سلامة، د ط ،دار الزيتونة للنشر، تونس ،1983.

52- الجيلاني عبد الرحمان محمد ، تاريخ الجزائر العام ، د ط ، دار الأمة ، الجزائر، 2010.

53- حمودة عبد الحميد حسين ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ط1، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 1428هـ/ 2007م .

54- حوالة يوسف بن أحمد ، الحياة العلمية بإفريقية ، ط جامعة أم القرى ، مكة ، السعودية ، 1421هـ/ 2000م.

55- الخالدي عبد الحميد ،الوجود الهلال السليمي في الجزائر ، د ط ،دار هومة الجزائر ، 2007

56- الخربوطلي علي حسين ، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ، د ط ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، 1972م .

57- دبوز محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، ط ،إحياء الكتب العربية ، د م ن ، 1383هـ/ 1963م.

58- الدراجي بوزياني ، القبائل الامازيغية (أدوارها ، مواطنها ، اعيانها) ، د ط ، دار الكتاب العربي ، الجزائر2007م

59- الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين ،ط15 ، دار العلم للملايين ،بيروت ،د س ن

60 - سالم السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير في العصر الاسلامي ،د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت1981.

61 - سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، د ط ، منشأة المعارف ، الاسكندرية 1990.

62- سعدي عثمان ، الامازيغ (البربر) علب عاربة و عروبة الشمال الافريقي عبد التاريخ ، د ط ،د د ط ، د م ن، 1996.

63- السلاوي أبو العباس أحمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، تح : جعفر الناصري و محمد الناصري ، د ط ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1954م

64- السلومي سليمان عبد الله ، أصول الاسماعيلية، د ط ، دار الفظيلة ، الرياض، 1409 هـ .

65- سيد ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية تفسير جديد ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، 1413 هـ/ 1992 م .

66- الشريف محمد الهادي ،تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الاستقلال،تع:محمد الشاوش ومحمد عجينة ،ط3،دار سراس للنشر،تونس،1983

67- الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير،ط 5 قصر الكتاب، البليدة 1441 هـ/1990 م ج2

68- الصلابي على محمد ، صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي ، ط1، دار إبن الجوزي ، القاهرة ، 1428 ه / 2007م .

69- الطمار محمد ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010.

70- ـــــــــــ ، ـــــــــــ ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج،د ط ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1983.

71- ضيف شوقي،عصر الدول والإمارات : ط1 ، دار المعارف،القاهرة، د س ن

72- العبادي احمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، د ط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر، د س ن .

73- العربي إسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، د ط ، البشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1980.

74- العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب ، ط5 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1996 .

75- عمارة علاوة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي ،دط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2008.

76- عويس عبد الحاليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر ط 2، دار الوفاء ، القاهرة 1411هـ، 1991م،

77- الغنيمي عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ،ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1414هـ/ 1994م.

78- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب و الأندلس ، دط ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1990 .

79- كربخال مارمول، إفريقيا ، تر : محمد حجي وآخرون ، دط ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، 1404 هـ/ 1984 م .

80- كرو أبو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ط 2 ، دار طلاس ، دمشق ، سوريا ، 1989 .

81- لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية مند تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 .

82- ـــــــ ، ـــــــــ ، المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى ثورات الخوارج ، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

83- مارسية جورج ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، تر : محمود عبد الصمد هيكل ، تح : مصطفى أبو الضيف احمد ، د ط ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، مصير 1991 .

84- المجذوب عبد العزيز ، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ،

د ط ، الدار التونسية للنشر تونس ، 1975 م / 1395 هـ.

85- محمد حسن العيد روسي ، المغرب العربي في العصر الإسلامي ، ط1 ، دار الكتاب الحديث القاهرة ، 2008.

86- مرمول محمد الصالح ، السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1981 .

87 – المطوي محمد العروسي،سيرة القيروان،د ط ،الدار العربية للكتاب ، تونس ،1981.

88- مهران محمد بيومي،المغرب القديم، د ط، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1410هـ/ 1990 .

89- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، د ط ، مكتبة الأسرة القاهرة ، 2004.

90- قطب سيد ،في ظلال القرآن ،ط 25 دار الشروق ، القاهرة 1417 هـ/1996م مج 4

91- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، تق: محمد الميلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

92- النائب الأنصاري احمد بك، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، د ط ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا ، د س ن ،

93- هو يدي يحي ، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية ، د ط ، مكتبة النهضة المصرية ، 1965 م .

ثالثا : القواميس.

94- ابن منظور ، لسان العرب ، ط 3 ، دار صادر ، دار الشروق ، القاهرة ، 1414 هـ / 1994 م .

95- الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ط 6 ، . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419هـ/ 1998 م .

رابعا : الرسائل الجامعية .

96- بن النية رضا ، صنهاجة المغرب الأوسط ، من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80 – 362 هـ/ 699 – 673 م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف بوبة مجاني ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة منشوري قسنطينة ، (1426-1427 هـ / 2005 – 2006 م).

خامسا : مواقع إلكترونية

97-www.qadeem.com/vb/attachment.php 2013-05-29 (08 :33)

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	02
تمهيد	08
الفصل الأول : عوامل نجاح الدعوة الفاطمية ببلاد المغرب	
1-العصبية القبلية ودورها في تأسيس الدولة	13
ا-مفهوم العصبية القبلية	13
ا-1 العصبية لغة	13
ا-2 العصبية اصطلاحا	13
ا-3 القبيلة	13
ا-4 العصبية القبلية	14
ب –كتامة النسب والموطن	14
ج – دور كتامة في تأسيس الدولة	15
2- الأوضاع الفكرية والمذهبية المختلفة في بلاد المغرب	19
ا-المذاهب السنية	19
ا-1- المذهب المالكي	19
ا-2- المذهب الحنفي	20
ب- الخوارج	21
ب-1- الصفرية	21
ب-2- الاباضية	22
3- الدول المستقلة وأثرها في نجاح قيام الدولة	23
ا-الاغالبة	23
ب-الرستميون	23
ج- دولة الادارسة	24
د- دولة بني مدرار	24

الفصل الثاني : نشأة الدولة الزيرية واستقلالها عن السلطة الفاطمية	
1-استخلاف الفاطميين للزيريين في حكم افريقية والمغرب	26
ا- نسب صنهاجة	26
ب- العلاقات بين الفاطميين وبنو زيري الصنهاجيين	27
2-انتقال السلطة من الفاطميين الى بني زيري	29
3-مراحل استقلال بنو زيري عن السلطة الفاطمية	31
ا-المرحلة الاولى	31
ب- المرحلة الثانية	34
الفصل الثالث : انعكاسات خروج الزيريين عن طاعة الفاطميين	
1-الانعكاسات السياسية	39
ا-الزحف الهلالي السليمي	39
ب- سقوط العاصمة القيروان وتداعياته	41
2- الانعكاسات الفكرية المذهبية	44
ا-محاربة الزيريين لمذهب الشيعة	44
ب-عودة انتشار المذهب السني المالكي	45
3- الانعكاسات الاجتماعية	47
ا-استيطان القبائل العربية بالمغرب ومساهمتهم في التعريب	47
ب- بنو هلال وإشكالية اندماجهم في المجتمع المغربي	48
4- الانعكاسات الاقتصادية	49
-الخاتمة	53
-الملاحق	55
-قائمة المصادر والمراجع	65
-فهرس الموضوعات	74